www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الرابعة | 1 أيار 2018

زيتون

العدد: 176

اغتيالات إدلب من يقف وراءها؟

حرب تصفية بين الفصائل أم تهيئة دولية

سيارة قائد مركز الشرطة الحرة في الدانا أحمد الجرو بعد اغتياله

اغتيالات إدلب من يقف وراءها؟
حرب تصفية بين الفصائل أم تهيئة دولية

في حرب مفاجئة وصامتة وعنيفة تعيشها محافظة إدلب بطلها "مجهولون" نفذوا عشرات عمليات الاغتيال والتصفيات وإطلاق نار على الحواجز من كلا الفصائل المتقاتلة دون أن يتم تحديد الفاعلين حتى الآن، ورغم أن تردي الحالة الأمنية والانفلات والفوضى ليست بالجديدة على المحافظة، إلا أن حدة وكثافة العمليات التي بدأت منذ أيام قليلة تؤكد أن قرارا تابعا لجهة ما يقف ورائها لتنفذ مخططاً مرسوماً.

خاص زيتون

وبدأت الاغتيالات يوم الأربعاء الماضي، بموجة تصفيات حصدت ١١ قتيلا منهم مدنيين في ست عمليات بمختلف مناطق المحافظة، فيما شهد يوم الخميس تصعيدا كبيرا في حدة العمليات إذ حصدت ١٧ عملية ما يقارب ٢٠ شخصا في يوم واحد، وما تزال العمليات مستمرة حتى اليوم.

وكان أبرز عمليات اليوم الأول اغتيال أحد كوادر جيش الأحرار ويلقب "أبو سليم بنّش»، على يد مجهولين على أطراف مدينة بنش صباح الأربعاء، تبع الحادثة عملية اغتيال أخرى لقيادي في هيئة تحرير الشام ويلقب "أبو الورد كفربطيخ" مع مرافق له واختطاف ثلاثة مرافقين آخرين، وذلك بإطلاق رصاص على سيارته من قبل مجهولين شمالي مدينة معرة النعمان جنوب إدلب.

إلى ذلك قام مجهولون باغتيال ثلاثة مقاتلي من مهجري مدينة الزبداني على طريق إدلب – معرة مصرين شمال مدينة إدلب.

وفي ذات السياق قتل ثلاثة مهاجرين من الحزب الإسلامي التركستاني بين بلدتي ملس وأرمناز شمال إدلب بعد أن أطلق مجهولون النار عليهما، فيما تعرض الإعلامي "مصطفى حاج علي" مدير المكتب الإعلامي بمديرية التربية الحرة لمحاولة اغتيال، إثر إطلاق النار عليه من قبل مجهولين قرب بلدة النيرب شرق إدلب.

واغتيل كل من مدير شركة حوالات مالية في مدينة سرمدا وصيدلي في قرية جوباس، كما جرت عمليات اغتيال فاشلة ضد القائد العسكري في لواء الفاتحين التابع لجبهة تحرير سوريا «أبو إسماعيل أيوب» في مدينة التح، ومحاولة أخرى لمنزل النقيب «أمين» القائد العام لجيش حلب الشهباء في قرية السحارة بريف حلب الغربي.

وتناقلت وسائل الإعلام خبر اغتيال رئيس مركز الشرطة الحرة في مدينة الدانا المقدم "أحمد الجرو" صباح أمس بتفجير سيارته بعبوة ناسفة، إلى ذلك شهد يوم الجمعة وهو اليوم الثالث للاغتيالات عدة عمليات اغتيال كان حصيلتها ١٤ قتيلاً من بينهم نساء وأطفال، وقضى ٤ أطفال ونجا والدهم القيادي السابق بهيئة تحرير الشام "أحمد الدوش" من قرية "صراع" بعبوة ناسفة استهدفت سيارته، بالقرب من"محمبل" جنوب غرب إدلب.
ونجا القيادي السابق في هيئة تحرير الشام "عبد الله المحيسني" من محاولة اغتيال قرب "سراقب" يوم أمس، وأصيب مرافقه إصابات طفيفة بعد استهداف سيارته بعبوة.

الجهات المحتملة خلف الاغتيالات

ويرجح مراقبون عدة خيارات حول مسؤولية الاغتيالات ومن يقف خلفها منها أن تكون حرب بين الفصائل المتقاتلة رغم الاتفاق الأخير الذي تم التوصل إليه بينها، أو أن تكون خلايا نائمة تتبع لتنظيم داعش هي من يقوم بتلك العمليات، فيما يشير البعض إلى تورط أجهزة مخابرات دولية واقليمية، كما تبقى أيدي النظام السوري حاضرة في الساحة والتي تخدم هذه الاغتيالات مصالحه بالدرجة الأولى.

اتفاق هش

العمليات التي طالت كافة الفصائل المتقاتلة في المحافظة زادت من حيرة المراقبين الذين اعتبر بعضهم أنها حرب مستترة تدور معاركها بصمت بين الأطراف بعد اتفاق مصالحة لم يكن واضحاً أو مقتنعاً للكثيرين، أرجعه البعض إلى رغبة الدول الإقليمية وعلى رأسهم تركيا التي يمكن أن تكون قد فرضت هكذا اتفاق، ليبقى الاقتتال مستمراً بشكل مخفي عبر الاغتيالات.

اتفاق الصلح الذي تم التوصل إليه يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان، وتناقله ناشطون كان نصاً مكتوباً بخط اليد، يقضي بوقف الاقتتال بشكل دائم وكامل، وفتح الطرقات ورفع الحواجز، وعودة المهجرين إلى منازلهم، كما نص على إيقاف التحريض الإعلامي في الحسابات الرسمية والرديفة، بالإضافة إلى إطلاق سراح المعتقلين من الطرفين وفق جدول زمني بين الطرفين، وتشكيل لجنة من الطرفين لمتابعة تنفيذ الاتفاق، والبدء بمشاورات موسعة مستمرة للوصول إلى حل شامل على جميع الصعد.

الاتفاق الموقع من قادة الفصائل الثلاث لا يبدو أنه اتفاق مثبت بالمقارنة مع البيانات الاتهامية المدببة والمفصلة التي كانت تصدرها هذه الفصائل وقت الاقتتال، كما أن الاتفاق يفتقر إلى أية تفاصيل كانت مثار خلاف عليها فيما سبق، ولا يدل غيابها إلا على فرض الاتفاق عليهم بشكل سريع، وتسويف كافة الخلافات إلى وقت لاحق، وهو ما يترك باب الشك مفتوحاً على مسؤولية هذه الفصائل عن الاغتيالات الأخيرة.

وتشير حادثة مقتل «عبد الرحمن خالد العناني» المنتمي إلى جبهة تحرير سوريا على يد عناصر هيئة تحرير الشام في بلدة مصيبين شرقي إدلب، وما تبعها من اتهامات طالته مع أقرباء له عن مسؤوليته في الاغتيالات التي طالت بعض المنتسبين لها، وما لحق بتلك الاتهامات من تهديدات لأقرباء القتيل بتسليم أنفسهم، تشير إلى حجم الاحتقان الذي ما زال بين الفصيلين المتقاتلين.

النظام والقوى الإقليمية

تشير بعض العمليات إلى تدريب عال ومهارة قد لا تتوفر لدى عناصر فصائل المعارضة، وهو ما يمكن أن يدل على تورط دولي في تلك الاغتيالات أو تحت إشرافها.

وتأتي هذه الاغتيالات بينما الأنظار تتجه حاليا إلى محافظة إدلب باعتبارها هدفاً محتملاً لهجوم قوات النظام عليها، المحافظة التي شهدت تقدماً لقوات النظام في بداية العام الحالي، وسيطرتها على مطار أبو الظهور ووصولها إلى قرى تل الطوقان وتل السلطان في مناطق إدلب الشرقية.

وبدأ الحديث عن إدلب واحتمال هجوم لقوات النظام عليها بعد التقدم الكبير الذي حققته قوات النظام في الغوطة الشرقية بدعم روسي كامل أشرف على المصالحات والتسويات التي أفضت إلى خروج المقاتلين والأهالي الراغبين منها إلى الشمال السوري ومراكز الإيواء بعد حملة قصف مكثف شنه الطيران الروسي.

كما تناقل نشطاء أمس الأحد قدوم قوات وأرتال تابعة للنظام السوري من دمشق إلى ريف حمص الشمالي في تأكيد لنيتها لشن هجوم على مناطق سيطرة المعارضة في إدلب.

سيناريو شن قوات النظام هجوماً على إدلب يبدو محتملاً ومرجحا ولا سيما في ظل الاقتتال الفصائلي الذي تشهده المحافظة وبعد سيطرة النظام على الغوطة الشرقية وتصريحات إيرانية تشير إلى رغبتها في السيطرة على محافظة إدلب، لتؤكدها تصريحات فرنسية محذرة من كارثة إنسانية في إدلب بحال تم الهجوم عليها.

ورغم نشر الجيش التركي عدد من نقاط المراقبة له في إدلب بناء على اتفاق أستانا، إلا أن طلب تركيا من إيران وروسيا عدم تكرار سيناريو الغوطة الشرقية في ريف حمص الشمالي وإدلب يدل على عدم تفاهم حقيقي بينهما على مصير هذه المنطقة، مع الإشارة إلى ما ضمنه الطرف التركي من إخلاء المحافظة من تنظيم القاعدة وجبهة النصرة وهو ما لم ينفذ حتى الآن، رغم ما يبدو من تدخل تركي في الاتفاق بين هيئة تحرير الشام وجبهة تحرير سوريا الأخير.

تحررت من الظالم لكنها لم تتحرر من الظلم.. مدينة جسر الشغور

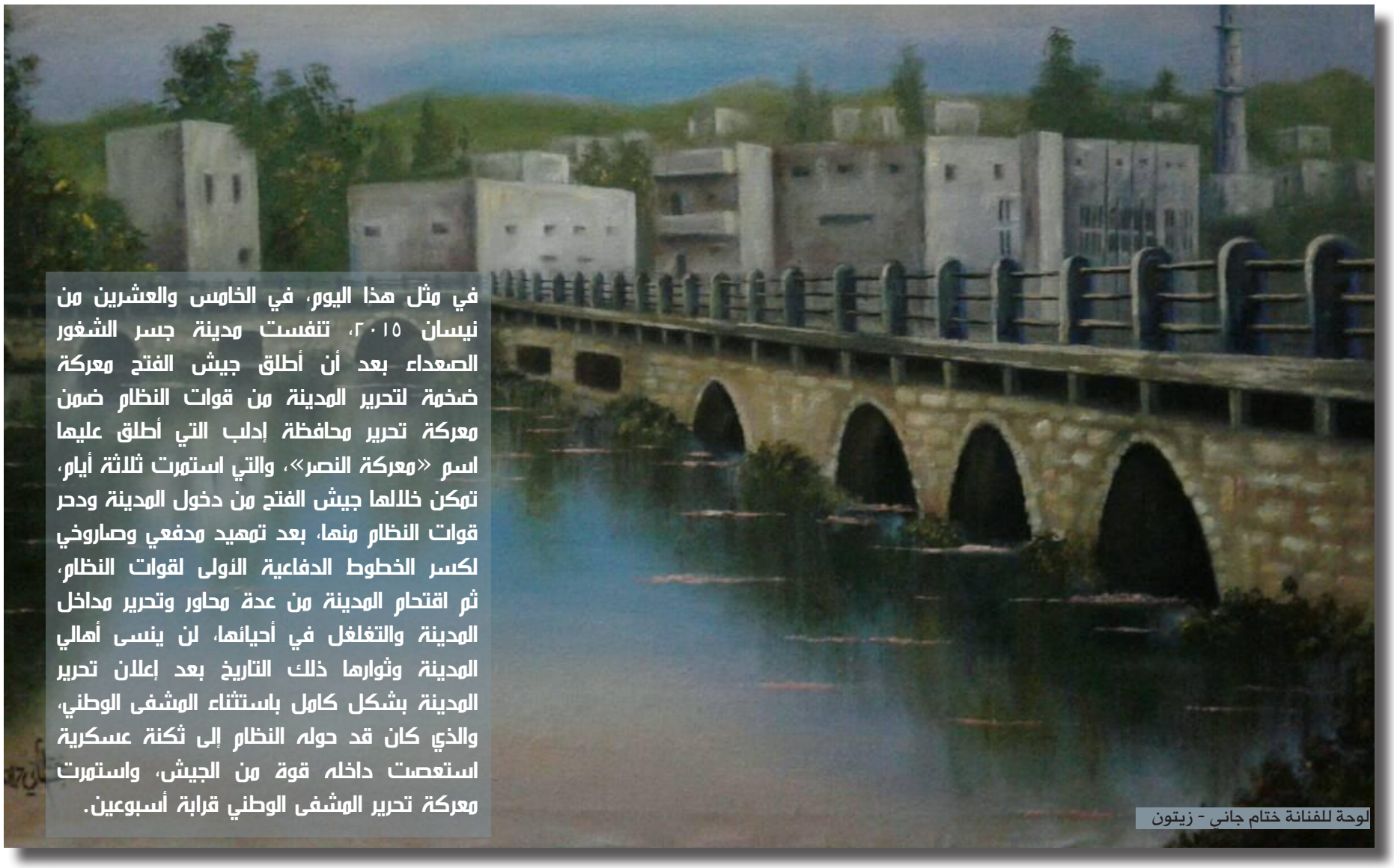

في مثل هذا اليوم، في الخامس والعشرين من نيسان ٢٠١٥، تنفست مدينة جسر الشغور الصعداء بعد أن أطلق جيش الفتح معركة ضخمة لتحرير المدينة من قوات النظام ضمن معركة تحرير محافظة إدلب التي أطلق عليها اسم «معركة النصر»، والتي استمرت ثلاثة أيام، تمكن خلالها جيش الفتح من دخول المدينة ودحر قوات النظام منها، بعد تمهيد مدفعي وصاروخي لكسر الخطوط الدفاعية الأولى لقوات النظام، ثم اقتحام المدينة من عدة محاور وتحرير مداخل المدينة والتغلغل في أحيائها، لن ينسى أهالي المدينة وثوارها ذلك التاريخ بعد إعلان تحرير المدينة بشكل كامل باستثناء المشفى الوطني، والذي كان قد حوله النظام إلى ثكنة عسكرية استعصت داخله قوة من الجيش، واستمرت معركة تحرير المشفى الوطني قرابة أسبوعين.

لوحة للفنانة ختام جاني - زيتون

ياسمين جاني

لم يمهل النظام أهالي المدينة ليهنأوا بتحرير مدينتهم، ورافق التحرير منذ اليوم الأول غارات جوية قصفت وسط المدينة راح ضحيتها ما يقارب ٣٥ شهيداً، كما تسبب القصف بتحويل جسر الشغور إلى مدينة أشباح بعد موجة نزوح كبرى من الأهالي للقرى المجاورة وتركيا.

ثلاثة أعوام والقصف لم يتوقف عن المدينة إلا ما ندر، فلم يقتصر على القصف الجوي بل تم استهدافها بشكل شبه يومي وبكافة أنواع الأسلحة الثقيلة وراجمات الصواريخ المتمركزة في معسكر جورين وجبلي الأكراد والتركمان، إضافة إلى استهدافها بصواريخ من البحر، باستثناء هدن مؤقتة كان يتم الاتفاق عليها بين الحين والآخر لكنها لم تخلو من خروقات النظام.

دمر القصف خلال هذه الأعوام الثلاث البنية التحتية للمدينة وأخرج منشآتها الحيوية من مياه وكهرباء واتصالات ومرافق طبية وخدمية وتعليمية عن الخدمة، كما طال القصف المعالم الأثرية في المدينة كالجامع الكبير، والجسر الروماني القديم في المدينة، فضلا عن تدمير المئات من منازل المدنيين وتهجير أكثر من ثلثي السكان.

كما كان للفصائل العسكرية المتمثلة بهيئة تحرير الشام والحزب الإسلامي التركستاني التي تسيطر على المدينة دوراً كبيراً في تراجع الخدمات في جسر الشغور، فبالرغم من تشكيل مجلس محلي للمدينة، إلا أنه لم يلبي احتياجات الأهالي، ولا حتى الأساسية منها.

وتعاني مدينة جسر الشغور منذ تحريرها وحتى اليوم من مشاكل في توفر المياه وارتفاع أسعار الكهرباء الخاصة والأمبيرات ومشاكل التعليم، ما شكل لدى الأهالي رد فعل غاضب تجاه سوء إدارة المدينة التي ظلت تحت سيطرة فصيل هيئة تحرير الشام والحزب التركستاني متمثلاً بالمجلس المحلي في المدينة، أدت في بعض الأحيان إلى مظاهرات لحل المجلس المحلي وتشكيل مجلس جديد عن طريق انتخابات جديدة، ما ساهم بتحسن نسبي في قطاع الخدمات.

يستذكر «عبد الباري عمران» أحد أهالي مدينة جسر الشغور وشاهد على تحريرها يوم جلاء قوات النظام قائلا: «يوم تاريخي لا يمكن لأحد ممن عاشه أن ينساه، بدأت المعركة في منتصف الليل ولم تهدأ الاشتباكات لو للحظة، سيطرت على الأهالي خلالها مشاعر الخوف والقلق مما ستؤول إليه الأمور، وخلت الشوارع من المارة بما يشبه حظر التجوال لمدة ثلاث أيام، تحول الخوف بعدها إلى مشاعر فرح».

ويصف «عمران» مشاعر الأهالي الذين غمرتهم السعادة بلقاء أبنائهم الثوار الذين لم يتمكنوا من لقائهم منذ أربع سنوات.

بعد التحرير فهذه المدينة التي كان يبلغ عدد سكانها حوالي مئة وخمسون ألف نسمة، باتت اليوم لا تضم أكثر من خمسون ألف نسمة، وذلك بسبب القصف العنيف الذي تشهده يوميا، معظم قاطنيها حاليا من المهجرين سواء من مناطق الغوطة أو حلب وحمص، في حين تشتت أبناء المدينة في القرى المجاورة والحدودية وفي المخيمات، ومنهم من لجأ إلى خارج الحدود خوفا على عائلته من الموت الذي يخيم على المدينة.

لموقع مدينة جسر الشغور أهمية كبيرة، فهي تقع في ريف إدلب الغربي على الطريق الواصل بين حلب واللاذقية، ما يجعلها صلة وصل بين الساحل ومحافظتي إدلب وحلب، كما تعتبر البوابة الرئيسية لمحافظة إدلب من ريف اللاذقية وسهل الغاب، فهي محاذية لمناطق سيطرة النظام الذي حاولت قواته مرات عدة التقدم باتجاهها لكن محاولاته باءت بالفشل.

بعد كل ما عانته مدينة جسر الشغور قبل وبعد التحرير، ما يزال أهلها يحاولون إعادة إعمار ما دمرته الطائرات، وتأمين مستلزمات الحياة فيها، من خلال إنشاء مراكز خدمية وطبية وتطوعية ومشاريع وحملات ميدانية وتعليمية.

تحررت جسر الشغور من قوات النظام لكنها لم تتخلص من الظلم، ولم تستطع أن تكون حرة تديرها أيدي أبنائها، وهي تراقب ما يجري على الأرض من اقتتال الفصائل الإسلامية وتسويات مصالح الدول الاقليمية والدولية بقلق بالغ من اتفاقيات أو انتكاسات قد تفضي بها إلى سيطرة النظام مرة أخرى.

حرب الاغتيالات تدفع بمدن وبلدات إدلب لمنع اللثام

أصدرت عدة مدن وبلدات في إدلب يومي الجمعة والسبت الماضيين، قرارات تقضي بمنع اللثام فيها، وذلك عقب موجة الاغتيالات التي تشهدها المحافظة منذ عدة أيام، بهدف حماية الأهالي وتحصين البلدات من هذه العمليات.

وقال مراسل زيتون إن مجلس شورى مدينة خان شيخون، أصدر قرارا ليلة أمس، منعت فيه اللثام بشكل كامل نظرا للظروف الأمنية المتردية والاغتيالات الحاصلة معتبرة أن أي ملثم داخل المدينة هدف مشروع،

كما أصدر المجلس العسكري في بلدة كفرروما بيانا مشابهاً يمنع ارتداء اللثام من قبل المقاتلين والمدنيين على حد سواء، وأعطى تعليمات لحواجز ودوريات البلدة بالتعامل مع أي ملثم، وأصدر المجلس العسكري في بلدة جرجناز والمجلس المحلي ومركز الشرطة في مدينة سرمين بياناً منعا فيه ارتداء اللثام وحذرا من عدم التجاوب مع البيانين بالتعامل معه مباشرة دون التأكد من هويته من قبل دوريات البلدة، ومنع المجلس العسكري في جرجناز المدنيين من الاقتراب من الأماكن العامة، مطالبا المجلس المحلي بتقديم بيانات للمهجرين في البلدة لدراستها.

وكان نشطاء في محافظة إدلب قد أطلقوا الجمعة، حملة بعنوان "لا للثام في المناطق المحررة" دعوا فيها الفصائل لاتخاذ موقف صارم تجاه ظاهرة اللثام التي ساهمت وساعدت في تفشي الفوضى وحملة الاغتيالات الأخيرة.

باستخدام الخردة..
سوري يبدع أدوات لتوليد الطاقة

إحدى اختراعات الشريف - مروحة لتوليد الكهرباء - زيتون

الخردة ومخلفات الطبيعة مواده الأولية في ابتكاراته، أما تكلفتها فهي لمسة من الإبداع وعقل متفتح مع القليل من الجهد الجسدي، وتكاليف مادية لا تُذكر.

هذه الأدوات كانت وسيلة «سعيد الشريف» للتغلب على الظروف التي أنتجتها آلة الحرب، من انقطاع الكهرباء وغلاء الوقود وغيرها، فكان قرار «أبو خالد» الاعتماد على نفسه في تأمين حاجات عائلته ومتطلباتها، وعدم انتظار المجهول.

أسامة الشامي

مروحة هوائية لتوليد الطاقة الكهربائية

كانت مشكلة انقطاع التيار الكهربائي عن محافظة إدلب، أكثر ما يؤرق «الشريف»، وكان عليه أن يؤمن البديل، فعمد إلى تصميم مروحة هوائية لتوليد الطاقة الكهربائية، تضاهي المراوح الصينية المستوردة بل وربما تفوقها من حيث متانتها وحساسيتها للهواء، على حد وصف «الشريف»، والذي أضاف لزيتون: «لست مخترعاً، وإنما متكيفا مع واقع صعب بلمسة من الإبداع، فعملت على تحقيق هدفي وهو توليد الكهرباء، بالاعتماد في التصنيع على مواد بسيطة الثمن وغير صالحة للبشر، وبذلك قد حققت النفع من الغير نافع، وهذه هي لمسة الإبداع التي أضفيتها، وإلا ففكرة المراوح الهوائية فكرة قديمة».

وبالفعل يعود تاريخ تشغيل أول طاحونة هوائية إلى القرن الأول الميلادي، وقال عنها في ذلك الوقت المهندس والفيزيائي «هيرون اليوناني» أنها أول آلة أستخدمت في توليد الطاقة في التاريخ، ثم انتشرت هذه المراوح في أوروبا بحلول القرن الثاني عشر لاسيما في هولندا وإنجلترا، وكانت الغاية منها هي الحصول على الطاقة لأعمال الإنسان في طحن الغلال ونشر الأخشاب وعصر الزيت وما إلى ذلك من أعمال.

«كل هذه المعدات جلبتها من الخردوات بأسعار رخيصة، حيث كلفتني المروحة ٥٠ دولاراً، بينما يبلغ ثمن المروحة الصينية ٥٠٠ دولار».

وخلال السبعينيات من القرن العشرين أدى النقص المتكرر في توليد الكهرباء لتجدد الاهتمام بالبحوث في طاقة الرياح، وخلص العلماء وقتها إلى أنه يمكن لعنفة بريشتين أن تولد أكثر من ٢ ميجاواط من الكهرباء في رياح معتدلة.

قضيب حديدي ومحرك «دينمو» ماء معطل، الغاية منه إعطاء التوازن فقط، أما الشفرات أو أجنحة المروحة، فقد قام «الشريف» بقصها من بعض الصفائح المعدنية، وأما ذيل المروحة الحديدي فقد صممه بدقة، بحيث يساوي وزنه وزنه جناحي المروحة، وذلك لتوجيه المروحة باتجاه التيارات الهوائية.

كما استخدم الشريف حركة دراجة هوائية بسيطة، وذلك لمضاعفة دوران المروحة، فعندما تدور المروحة ٤٠ دورة تضاعفها الحركة لتصبح ١٣٥ دورة، بحسب الشريف، مضيفاً: «كل هذه المعدات جلبتها من الخردوات بأسعار رخيصة، حيث كلفتني المروحة ٥٠ دولاراً، بينما يبلغ ثمن المروحة الصينية ٥٠٠ دولار».

ولم يكتفي المصمم بإنجاز مروحته بسعر زهيد، بل أضاف عليها لمسات جعلتها تفوق المروحه المستوردة، فقد قام بتعليق أكياس بأطراف الشفرات، مهمتها المحافظة على سلامة الشفرات، فعندما تزداد سرعة الرياح أكثر من ١٠٠ كيلومتر في الساعة تتمزق الأكياس ويسهل استبدالها وتؤمن عدم تحطم الشفرات، بينما تتعرض المراوح المستوردة لهذه المشكلة، على حد وصفه.

سخّان مياه

لم يقف الشريف عند حل مشكلة انقطاع التيار الكهربائي عن منطقته، بل تجاوزها ليجد حلاً لمشكلة ارتفاع سعر الوقود وعدم توفرها بشكل دائم، والحاجة إليها في عملية تسخين المياه، لا سيما في أجواء الشتاء الباردة، فقام بصنع سخّان للمياه «قاظان»، يعمل بالاعتماد على تفاعل البكتيريا مع المواد العضوية، والذي ينتج عنه نشر للحرارة.

وكانت أدوات المصمم هذه المرة، عبارة عن كيس بحجم مترين مربع، وضع فيه برميل حديدي، وغمره بمخلفات عصر الزيتون «التفل»، كمادة عضوية توفر التفاعل وأغلقته بإحكام، ونظم دورة المياه بحيث يخرج من البرميل أنبوب ماء يصل إلى داخل المنزل، وأنبوب آخر ينزل من الخزان العلوي.

وعن آلية عمله قال الشريف لزيتون: «عندما تتفاعل البكتيريا في المواد العضوية الموجودة داخل الكيس، يصدر التفاعل حرارة عالية، يحبسها الكيس لتنتقل للبرميل المغمور بهذه المواد العضوية فتسخن المياه، وبذلك أحصل على الماء الساخن بشكل دائم، ودون استخدام الوقود أو أية مصادر طاقة أخرى».

آلية العمل هذه يؤيدها علم المواد العضوية الحديثة، وعلاقة العضويات بالحرارة والطاقة، حيث يقول البروفيسور «آدام بيكسون» من معهد «ماساتشو ستس» للتكنولوجيا، أن هناك مواد مخزنة للحرارة الكامنة تمتص وتنشر الحرارة، وتسمى مواد متغيرة الأطوار، منها المواد العضوية والهيدروكربونية، وشكلت هذه المواد محور اهتمام المهندسين المختصين في النقل الحراري وتخزين الطاقة الحرارية، وذلك كونها تنشر الطاقة الحرارية.

مكبس لقوالب الحجر

أبو خالد رأى أن العقل السوري قادر على تسخير حتى الخردوات والمخلفات لمنفعته، لذا أكمل سلسلة تحدياته ونجاحاته بعمل ثالث وهو تصنيع مكبس لحجر البناء (البلوك) من الخردوات أيضاً، ولكن هذه المرة بالاعتماد على الطاقة الشمسية.

وعن المكبس قال مصمّمه: «لدي خبرة جيدة بالميكانيك بالطاقة، وقمت بالاستعانة بالانترنت لأطلع على آلية تصنيع المكابس، ثم جلبت قطع الحديد اللازمة من الخردوات، ورحت أصنع القطع اللازمة بيديّ، وأطبقها حتى حصلت بالنهاية على مكبس بلوك فعال».

وأضاف الشريف: «حاولت أن أختصر كادر العمل، وبدلاً من أن يكون هناك عامل مخصص لنقل الحجارة من المكبس، صنعت مكبساً خفيفاً وذو عجلات، لسهولة التنقل أثناء عملية التصنيع، وهو يتفوق على المكابس القديمة والتي كلفت أكثر منه بكثير».

هذا العمل دفع أبو خالد ليصنع جبالة باتون صغيرة من ذات المواد ذاتها التي كانت مهملة أو مرمية وتعود أن يسخرها لنفعه، حيث ينقلها من مكبات الخردوات للحياة بآليات جديدة، فعندما ترى مقود السيارة «الدركسيون» على الجبالة وقضبان الكراسي المكسرة، وكيف تناسقت مع بعضها بطريقة ميكانيكية فنية جميلة، تدرك بأن الإبداع يعيد الحياة لكل ما هو مهمل من قطع ضمن آلة تفرض الإعجاب على كل من يشاهدها.

الإبداع ام التكيف المبدع ؟ سؤال يحتضرنا أمام أعمال أبو خالد، التي يطغى التكيف الذكي فيها على مشهد الإبداع.

«الذكاء هو القدرة على التكيف مع التغيير»، مقولة قالها الفيلسوف «ستيفن هو كيج» وجدناها مترسخة بحال أبو خالد الذي استطاع بإبداعه التكيف مع أقسى الظروف في واقع صعب تعتصره الحرب من كل جوانبه.

نقابة المحامين في إدلب كيف تشارك بالعمل السياسي

من اجتماعات نقابة المحامين - صفحة النقابة

يعتمد العمل الحزبي على صراع بين جهات متناقضة في المصالح بالدرجة الأولى، ومتناقضة في الأفكار التي تسعى من خلال تحقيقها لترسيخ مصالحها، وهو السبب الذي يدفعها لتنظيم نفسها على عدة مستويات منها النقابات العمالية والمهنية لضمان حقوق العاملين فيها وصونها وتطويرها ونشر ايديولوجيتها سياسيا.

محمد المحمود

ويتطلب العمل السياسي تنظيما واضحا حتى يتمكن من ممارسة عمله السياسي بفعل ثقله الجماهيري، وهو رصيده الوحيد في قوة صوته ومكانته، فكلما زاد تمثيله لشريحة أكبر كلما زاد تأثيره، ومن هنا حاولت الأحزاب السياسية كسب بعض المؤسسات والاتحادات النقابية أو أنتجت تلك النقابات أحزابا سياسية فيما بعد.

ولأن العمل السياسي هو تعبير عن مصالح شريحة معينة كان ملزما بإصدار بيانات تعبر عن مواقفه السياسية للدلالة عن أصالته في تمثيل تلك الشريحة ولكسب شعبية تندرج ضمن جمهوره المستهدف، من الجهة الأخرى يسعى أصحاب المصالح لتنظيم أنفسهم عبر نقابات واتحادات مهنية تمكنهم من استخدام الأحزاب السياسي لتحقيق مصالحهم.

ورغم العلاقة المنفعية فيما بين الأحزاب والنقابات إلا أن فرقا كبيرا بينهما يتمثل في أن الغاية من تنظيم النقابات يتوقف عند أهدافها المطلبية وتحسين شروط حياة أعضائها، فيما تسعى الأحزاب إلى السلطة بشكل مباشر.

ومع انتشار هامش من الحرية في المناطق المحررة بعد انحسار سلطة النظام السوري عنها، بدأت بعض النقابات بالظهور، وأخذت دورا واعدا في حماية فئات معينة، مستفيدة من ثقافة النقابات الموجودة سابقا.

وبمواجهة العسكر ظلت هذه النقابات محدودة التأثير، حتى وجدت في بعض التجمعات السياسية تقاطعا مع المصالح والأفكار، تجلى ذلك التقارب من خلال مشاركة الأعضاء في التنظيمين دون تحالف واضح قد يحتاج مزيدا من الوقت.

نقابة المحامين في إدلب

نقابة المحامين في إدلب هي إحدى أقدم النقابات التي ظهرت في المناطق المحررة وتظهر صفحة نقابة محامو إدلب الأحرار على موقع فيسبوك والتابعة لنقابة المحامين في محافظة إدلب مواكبة النقابة للحراك السياسي والتصاقها به، بالإضافة لإصدارها بيانات سياسية تدين بها جرائم النظام كالبيان الذي صدر عنها بشأن الهجوم الكيماوي لنظام الأسد المجرم على أهالي مدينة دوما مؤخرا، والذي طالبت من خلاله جميع المجالس والمحافل الدولية بمحاسبة المجرم قانونيا وإحالته لمحكمة الجنايات الدولية وتحميله المسؤولية الجنائية التامة عن المجزرة.

وكان لنقابة المحامين مشاركة فعالة في الإشراف على أهم العمليات في التجمعات السياسية في محافظة إدلب ولا سيما الانتخابات، وتوضيح المخالفات القانونية للمراسيم التشريعية التي تصدر عن النظام بهدف استغلال ظروف الحرب للانتقام من الشعب السوري الثائر.

رئيس فرع نقابة المحامين الأحرار بإدلب المحامي»عبد الوهاب الضعيف» أوضح شكل المشاركة التي تقوم بها النقابة في العمل السياسي لزيتون قائلاً:

«شاركنا في كل الفعاليات الثورية المنددة بالمجازر، وأصدرنا البيانات وقمنا بالاعتصامات ضد المؤتمرات المشبوهة، وكنا واضحين في مواقفنا تجاه الأحداث التي تواجه مصير الثورة وسوريا دائما».

وأضاف الضعيف: «إضافة إلى وجودنا في الفعاليات المدنية والوقفات والاعتصامات، وتشكيل المجالس المحلية، نقدم الاستشارة عند أي طلب يقدم لنا، ونعتبر هذا الأمر جزءاً أساسياً من عملنا كمحامين».

ويشير الضعيف إلى ما قامت به النقابة من تنظيم ومشاركة في الاعتصام ضد مؤتمر سوتشي في حلب، ومشاركتهم في الإشراف على تشكيل المجلس المحلي في مدينة سراقب.

وتؤكد النقابة وقوفها على مسافة واحدة من التجمعات السياسية احتراما لمهنة المحاماة العلمية الحرة، رغم التزامها بتقديم كل الخدمات القانونية والاستشارات لها، واهتمامها بمراقبة العمليات الانتخابية ولجان الطعون وحسن سير الانتخابات كما جرى في انتخابات الهيئة السياسية في محافظة إدلب.

ويرى عضو المكتب التنفيذي لنقابة المحامين الأحرار «عبد الله العلي» أن أهم ما صدر عن النقابة من مواقف سياسية برزت في مواقفها من مؤتمري سوتشي وأستانة والتحذير من ضمانة روسيا التي تعتبر عدواً للسوريين، فضلاً عما عملت عليه النقابة من ملفات جنائية وقانونية تدين النظام واستخدامه السلاح الكيماوي في خان شيخون ودوما وجرائم الحرب، التي تنوي النقابة تقديمها لمنظمات عالمية ومحكمة الجنايات الدولية حين يسمح الظرف بذلك.

وعن دور النقابة في تشجيع الأهالي وأعضاءها على العمل السياسي ومدى رؤية النقابة لمسؤوليتها بهذا الشأن يقول «العلي»: «نحن اليوم في ثورة، ومن واجب النقابات أن تشارك في العمل السياسي، وأن تكون النقابات في مقدمة الحراك السياسي والميداني دائما، وتوعية الأهالي وحثهم على أهمية وممارسة العمل السياسي، لا سيما وأن الكثير من قيادات الفصائل العسكرية المعارضة لا تمتلك الوعي الكافي المطلوب في هذه المرحلة».

ويضيف العلي: «من واجبنا كنقابات أن نحافظ على وضع مسار الثورة في سكّته الصحيحة، ومواكبة جميع الأحداث، وأن نعمل على إقامة الندوات التوعوية ومشاركة الأهالي في المظاهرات وإصدار البيانات التوضيحية وموقفنا من الأحداث، وتلك هي وسائلنا لدفع الناس للمشاركة السياسية».

من جانبه لا يرى عضو النقابة «عماد اليماني» أن العمل السياسي في المناطق المحررة وصل إلى المستوى المطلوب الذي يتمناه الأهالي، كما أنه لم يحقق أهداف ثورته التي قام من أجلها، معتبراً أن العمل السياسي يجب أن يترافق مع العمل العسكري لما له من قوة وتأثير في زخم العمل السياسي.

وعن رؤية النقابة لدور العمل السياسي وأهميته قال أمين سر نقابة المحامين الأحرار في إدلب «سامح جرود» لزيتون: «نحن كنقابة محامين مع العمل السياسي وعلى مسافة واحدة من جميع التجمعات السياسية المعارضة، ولكن التجمعات تعاني من حالة ضعف سببها عدم تشكيل التجمعات السياسية بالصيغة الصحيحة، وذلك لأنها انطلقت بتأسيسها على أساس مناطقي، باستثناء الهيئة السياسية في إدلب، التي شملت معظم مناطق المحافظة».

ويشير «الجرود» إلى أن الشارع بحاجة لعمق أكبر في طرح أفكار هذه التجمعات، لا سيما أن ٤٠ عاماً من حكم البعث أفقدت الحراك السياسي مصداقيته في سوريا.

ويعيب الجرود على بعض التجمعات اقتصارها على فئات قليلة من الشارع الثوري وانزوائها مناطقياً، محذرا من استنساخ تجربة حزب البعث، ومؤكداً أن الحل الحقيقي لتعزيز ثقة الأهالي بالعمل السياسي أن تنطلق تلك التجمعات السياسية من تطلعات الأهالي ومن خلالهم حتى تؤمن بها وتمنحها الثقة لتمثيلها.

ويقلل الجرود من فرص النجاح للتشكيلات السياسية الموجودة على الساحة، مستبعدا أن تكون نواة حقيقية للعمل السياسي، داعيا إلى وحدة هذه التجمعات تحت مظلة جسم سياسي واحد يمكنه أن يكون أكثر فعالية، يدرج تحت مظلته جميع التشكيلات السياسية، يتم بعدها دعوة كافة الفعاليات لورشات عمل يتم من خلالها اعتماد المبادئ الأساسية للعمل السياسي والخروج بلجان تنظيمية تبلور هذا العمل في إطاره الشعبي والسياسي، يمكن بعدها إجراء انتخابات تفضي إلى ممثلين لهذا الحراك.

وكانت النقابة قد حذرت مؤخراً من القانون رقم ١٠ لعام ٢٠١٨، الذي أصدره النظام، موضحة أنه حيلة غير قانونية تسعى لسلب أملاك وحقوق السوريين من المهجرين، مشيرة إلى أنه يهدف للتغيير الطائفي والديموغرافي للمناطق المحيطة بدمشق وما حولها، وذلك عبر ما نص عليه من إسقاط حق أصحاب المنازل فيها بسبب عدم حضورهم قبل بدء مشروع التنظيم.

> ويعاب على بعض التجمعات السياسية اقتصارها على فئات قليلة من الشارع الثوري وانزوائها مناطقيا، ويبقى الحل الحقيقي لتعزيز ثقة الأهالي بالعمل السياسي أن تنطلق تلك التجمعات السياسية من تطلعات الأهالي ومن خلالهم حتى تؤمن بها وتمنحها الثقة لتمثيلها.

بعد سبع سنوات من اعتماد السوريين الخارجين ضد نظام الأسد على العمل العسكري، والذي أثبت عجزه وقصوره عن تحقيق أهداف ثورتهم نتيجة لتخليهم عن قرارهم السياسي لصالح الدول الإقليمية اللاعبة في الساحة، يرى الكثيرون أن الوقت قد حان لكي يسترد السوريون زمام قرارهم السياسي أولا على الفصائل المعارضة الموجودة بينهم وعلى الدول الداعمة للثورة بحسب ادعاءاتهم، ويبدأ ذلك من وعي الأهالي في المناطق المحررة بمصالحهم وقدرتهم على تمثيلها أو اختيار ممثليهم، قبل فوات الأوان.

أضرحة ومزارات إدلب.. ما بين العبادة والسياحة

إلى جانب زيتونها، وبقدم تلالها، انتشرت في محافظة إدلب منذ قرون عدة عشرات المزارات والأضرحة لشخصيات دينية وأولياء وصحابة، لم تحرم منها قرية أو بلدة بضريح على الأقل، ألفها الناس في تجميل حياتهم، والتقرب لأمانيهم والترفيه عن أنفسهم، حتى باتت جزءاً من تقاليدهم وتراثهم وثقافتهم، وجرى على هذا الجانب ما جرى على غيره من تغيير قاس، طال وجود هذه الأضرحة مخلفاً أسى لدى محبي الأضرحة بعد التعدي عليها ونسف بعضها وإزالة ما كان يزين قمم التلال وبعض الجبال.

خاص زيتون

قبب خضراء، يلف قممها بعض القماش الأخضر، منها ما شاع صيته واشتهر، ومنها ما اقتصر ذكره على من حوله في بعض القرى، في تفاوت كبير بالنظرة لها والإيمان بها، كتفاوت الروايات حول سبب وجودها وموضوعية تاريخها في الذاكرة الشعبية التي تضفي عليها مسحة دينية مع طابع روحاني أسطوري.

المد السلفي الذي طرأ على المنطقة بقدوم تيار القاعدة إليها والذي يرى في زيارة القبور والتقرب إليها بدعة وفتنة، اصطدم بالثقافة الصوفية القديمة في سوريا، والذي تجلى بهدم بعض الأضرحة بعد انتصار جبهة النصرة على أهل الأرض، دفع بالمهزومين إلى قبول الثمن وهدم قبور أوليائهم الذين كانوا يتقوون بهم بالأمس القريب، هذا فضلا عما طالته الغارات الجوية وقذائف النظام.

ولإنْ ضعفت السياحة الدينية فلم تضعف تقاليد الأهالي الترفيهية في زيارة أماكن التلال وممارسة الطقوس التي كانوا يمارسونها في زمن كان فيه تقديم الأضاحي والقرابين والنذور لديها أمر مباح.

مزار وضريح الخليفة «عمر بن عبد العزيز»

يقع مزار وضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز في قرية «دير شرقي» التي تبعد حوالي ٣٠ كيلو مترا إلى الجنوب الشرقي من مدينة «معرة النعمان»، وكانت تعرف قديما بـ «دير سمعان» بحسب ما ذكرته كتب التاريخ، حيث ذكر «أبو الفداء» في كتابه «المختصر» أن وفاة وقبر عمر بن عبد العزيز في «دير سمعان» من قرى المعرة، وهو ما ورد أيضاً في كتاب «الدر المنتخب في تاريخ حلب» لابن الشحنة، بالإضافة إلى عدة كتب تاريخية أخرى.

لم يكن ضريح الخليفة الأموي سوى قبراً يضم رفاته حتى أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء مزار له في موضع دفنه، وذلك تكريما وتقديرا للخليفة عمر بن عبد العزيز.

أهمية المعلم وجماله، ومكانة الخليفة عمر من الناحية الدينية، وروعة البناء الحجري، وهندسة قبته الإسلامية، وحديقته التي جمعت ما بين جمال العمران الإسلامي وروعة القدم والتراث، جعلت من مزار الخليفة وضريحه مقصداً لأهالي إدلب وللسياح من خارجها.

يقول «أحمد الرشيد» من قرية «معر حطاط» إحدى القرى المجاورة للمزار: «في السابق كانت حديقة المزار تعج بالزائرين والعائلات ولا سيما في أيام الجمعة، وقد تتعدى الزيارة قصدها وتتحول إلى نزهة ترفيهية ودينية بآن واحد».

ويضيف الرشيد: «شخصيا كنت أقصد المزار وأجلس في حديقته، استحضر سيرة صاحبه ومآثره، يتخلل نفسي مزيج من راحة والسعادة والإعجاب بشخصية صاحب هذا الضريح الذي يعتبر رمزاً من رموز تاريخنا الإسلامي».

ووفقاً لإحصائية لمديرية السياحة في إدلب، فقد زار ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز ٤٠ ألف سائح، خلال عام ٢٠٠٩، منهم ٢٥ ألف سائح من الجنسية التركية.

إلا أن كل ما سبق لم يمنع من استهداف المزار، وكغيره من المعالم التاريخية في سوريا بشكل عام، وفي إدلب بشكل خاص، تعرض ضريح ومزار الخليفة عمر بن عبد العزيز في قرية دير شرقي للاستهداف أكثر من مرة بقذائف مدفعيات قوات النظام في معسكر وادي الضيف قبل تحريره، كما تعرض لعدة غارات من الطيران الحربي السوري والروسي لاحقاً، ما أسفر عن تضرر البناء والسور الخارجي للمزار.

مزار ومقام «النبي أيوب»

على ارتفاع ٩٤٠ متراً عن سطح البحر، وعلى بعد ٣٠ كيلو متراً جنوب غرب مدينة إدلب، بين قريتي «جوزف» «وبسامس»، يتربع مقام «النبي أيوب» داخل غرفة حجرية وحيدة وعتيقة، بنيت من الحجارة بطريقة بسيطة، تعتليها قبة خضراء بسيطة التصميم والهندسة، تنم عن مدى قدمها، وذلك في أعلى التل المسمى باسمه، والواقع على قمة جبل الزاوية، وعلى مقربة من نبع ماء بركاني محفور في الصخور، تتوفر فيه المياه صيفاً وشتاءً.

موقع المقام المتميز بأعلى تلال جبل الزاوية تمنحه إطلالات متعددة، كل إطلالة تنافس الأخرى بجمالها، حيث يطل على العديد من التلال المجاورة له في جبل الزاوية، والتي يكسوها غطاء نباتي مميز من أشجار الكرز والزيتون.

وبالقرب من مقام النبي أيوب وفي قرية بلشون إحدى قرى جبل الزاوية يقع مقام وقبة زوجة النبي أيوب، المعروف باسم مقام «ستي رحمة» الذي يعتبره الكثير من الأهالي ذو صيغة رمزية لا تحمل بعداً دينياً. القبة التي كانت يلجأ إليها المزارعون أثناء قطافهم لمواسم الزيتون لم تمنع تنظيم داعش عن تفجيرها بحجة البدعة والشرك.

مقام النبي أيوب - أنترنت

حكاية المقام

«تل النبي أيوب» واحد من المزارات الاكثر أهمية في إدلب، وعن ارتباط اسمه بنبي الله أيوب وقصته معه، قال «أحمد العمر» أحد سكان قرية جوزف قرب التل لزيتون:

«ما أعرفه هو ما سمعته من أبي وجدي ومعظم كبار السن في المنطقة، الذين ينقلون لنا ما يعرفونه عبر ما تناقلته الروايات القديمة، حيث تقول الرواية أن نبي الله أيوب مر من هنا، وسكن فترة من الزمن فيه، وابتلي بمرضه في هذا التل حتى اغتسل من ماء النبع الموجود قرب المزار وشفي»، مضيفاً: «المكان ذو طبيعة تجذب أي سائح، كنا نصعد إليه كمجموعات شبابية، نقضي متسع من الوقت الترفيهي بربوع القمة، نتناول الشواء، فيما يقصده البعض للحصول على ماء النبع، بهدف الاغتسال والعلاج، برفقة عائلاتهم وما يتبعها من طقوس السيران، فتشعر بأنه متنزه ديني جميل إن صح التعبير».

لا يوجد مصدر تاريخي رسمي يثبت مكان دفن النبي أيوب، إذ تعددت الروايات حول مكان دفنه، واختلفت ما بين درعا ودمشق والسويداء في سوريا، بينما أفادت روايات أخرى بأن النبي أيوب دفن في فلسطين، إلا أن الرواية الأقوى هي أنه دفن في محافظة السلط بالأردن.

ورغم عدم تأكيد دفن النبي أيوب في مزاره بجبل الزاوية، ورغم أن الفكرة الشائعة لدى الكثيرين بأن المقام هو مكان دفن الرمز الذي يحمل المزار أو المقام اسمه، إلا أن الإرث الشعبي والتراث الفكري والديني لأهالي المنطقة، يعتبر مقام النبي أيوب الأكثر أثراً في نفوس الناس في إدلب، ففيه إقامة النبي، وعنده تستحضر النفس قصة ابتلائه بالمرض وعلاجه من ماء ما، قد يكون هو ماء النبع الموجود قربه، فتتكامل عنده الرغبات البشرية من جمال المكان والروحانيات المحببة لدى البشر.

ولكن مقام النبي أيوب لم يعد مقصداً لأهالي لإدلب منذ اندلاع الثورة، فارتفاعه الشاهق، وموقعه الاستراتيجي، جعلت منه هدفاً للطيران الحربي على مدى الأعوام السبعة السابقة، ولم يكن يمر عام منها دون استهدافه، وكان آخر استهداف للتل في ٢ نيسان ٢٠١٨، إلا أن الأضرار اقتصرت حتى اليوم على محيط المقام.

مزار «رام الجوخي»

مقام رام الجوخي - انترنت

ليس المهم صحة وحقيقة المزارات، لكن المهم ما يؤمن به الناس ويحترمونه، ومن هنا فإن الكثير من المزارات ليس لها أي دليل تاريخي أو حتى معرفة باسم صاحب المزار، إلا ما يتناقله الناس ويتواترونه عن آبائهم وأجدادهم، ولا شك بأن هناك سبب ما جعل الذاكرة الشعبية تعتبر هذا المكان مزارا، ربما لحاجة الناس لها كمزار «رام الجوخي» المتميز والذي يقع جنوب شرق بلدة «كرسعة» في جبل شحشبو، بالقرب من قرية «حسانة».

ومزار رام الجوخي عبارة عن رجم تلالي صغير، فيه شجرة تين معمرة، يقال إن ولي اسمه «الجوخي» قد دفن فيه، يجاوره مستنقع ماء، ولعل هذا المستنقع هو ما يعطي للمكان رونقه بسبب ندرة المسطحات المائية في المنطقة، ما يدفع الأهالي لاستهدافه كمكان مناسب لقضاء العطل والنزهات، ولأخذ الصور قربه بدافع الذكرى.

أما لماذا اعتبرته الذاكرة الشعبية مزارا، فيقول أستاذ العلوم «إبراهيم الاسماعيل» من أبناء المنطقة لزيتون أن الأهالي قد اعتادوا التداوي من أمراض الكبد بالاغتسال بطمي وماء المستنقع، والسبب يعود إلى أن هذه المنطقة هي منطقة والتربة بركانية غنية بفتات معادن، ما يمنع نفاذ الماء ويعطي المكان الطبيعة المناسبة لنشوء المستنقعات الذي تراه الناس أعجوبة، وبما أن التربة البركانية غنية بالمعادن جعلتها هذه الميزة سببا بشفاء المرض، مثلها مثل ماء تلة النبي أيوب البركانية.

مقام «الخواص»

مقام الخواص - انترنت

يفاجئك وأنت تدخل إلى مقام الخواص ذو صبغة دينية أن أرى هذه الحالة من الحياة الطبيعية لعائلات تقوم بطهي الطعام والنوم بجانب الضريح، بينهم نساء ورجال يبدو عليهم المرض ورغبة الاستشفاء، مع أريحية مطلقة للأطفال وهي تلعب حول الضريح وفي باحته الخارجية، بالقرب من نبع ماء يعتقد الأهالي بقدرته على علاج بعض الأمراض ما يدفع بزيارة البعض من أماكن خارج المحافظة والتزود أحيانا من مائه.

ضريح إبراهيم الخواص الواقع يمنتصف طريق «أريحا- معرة النعمان» في قرية منطف في الطرف الشرقي لجبل الزاوية، والذي يعتبر من أشهر المقامات التي يقصدها الأهالي للقيام بطقوسهم وتقديم نذورهم. ويرجع مهتمي التاريخ سبب كثرة تلك المزارات والأضرحة في جبل الزاوية بشكل خاص إلى كون هذه المنطقة كانت ملجأ للكثير من أتباع المذهب الصوفي ورغبتهم بالخلو لعبادتهم فيها والاستفراد والتنسك.

وإبراهيم الخواص شخصية صوفية ولد في مصر وهو من أتباع الطريقة الشاذلية، وبعد انتقاله من العراق أقام في جبل الزاوية وتوفي فيه عام ٢٩١ هجرية، وأقام العثمانيون قبتان فوق قبره تكريماً له.

وفي مدينة إدلب وعلى أطرافها توجد العديد من المزارات التي لا يقل عمر أيّ منها عن ١٥٠ عاماً، من بينها مزار الشيخ ردان المجاهد قرب منطقة المجمع بمدينة إدلب، ومزار الشيخ أبو التوتة في منطقة أرض الحارة وسط المدينة، إضافة لمزار الشيخ أبو الحسن في منطقة وادي النسيم، ومزار الشيخ يوسف الحريجي.

ويقع مزار الشيخ يوسف الحريجي في منطقة معراتة ٤ كم شرق مدينة إدلب، ويروي السبعيني «عبد اللطيف البرهوم» من أهالي إدلب لزيتون معلوماته عن المزار قائلاً: «لا أعرف سبب تسميته ولكن منذ أن خلقت وأنا أرى هذا المزار، ولا شك بأن عمره يزيد عن ٢٠٠ عام، وكان الناس سابقا يزورونه لبركته ولتقديم الأضاحي له ولقضاء يوم تنزه في جواره».

وتعرضت بعض هذه المزارات خلال الثورة السورية للتدمير كتل الشيخ منصور الذي يحوي على مزاره، والذي يقع شرقي مدينة سراقب، فقد تم تدمير المزار فيه خلال فترة سيطرة فصائل المعارضة على المنطقة، وكان يعد هذا التل منتزها لأهالي المدينة بسبب وجود المزار فيه، ولإطلالته الجميلة على المزارع المحيطة به.

معرة النعمان تضم بمفردها على أكثر من ٢٥ مزاراً منها ضريح النبي يوشع ومقام النبي شيت وضريح الخضر، ومقام أويس القرني، ومقام عمر ابن الوردي، ومقام أبي عبيدة بن الجراح في حارم، ومقام الولي بشر اللّه الحافي في بنش، والشيخ منصور في سراقب، ومقام الصياد في جبل الأربعين بمدينة أريحا، وضريحي خولة بنت الأزور وأخيها ضرار في سرمين.

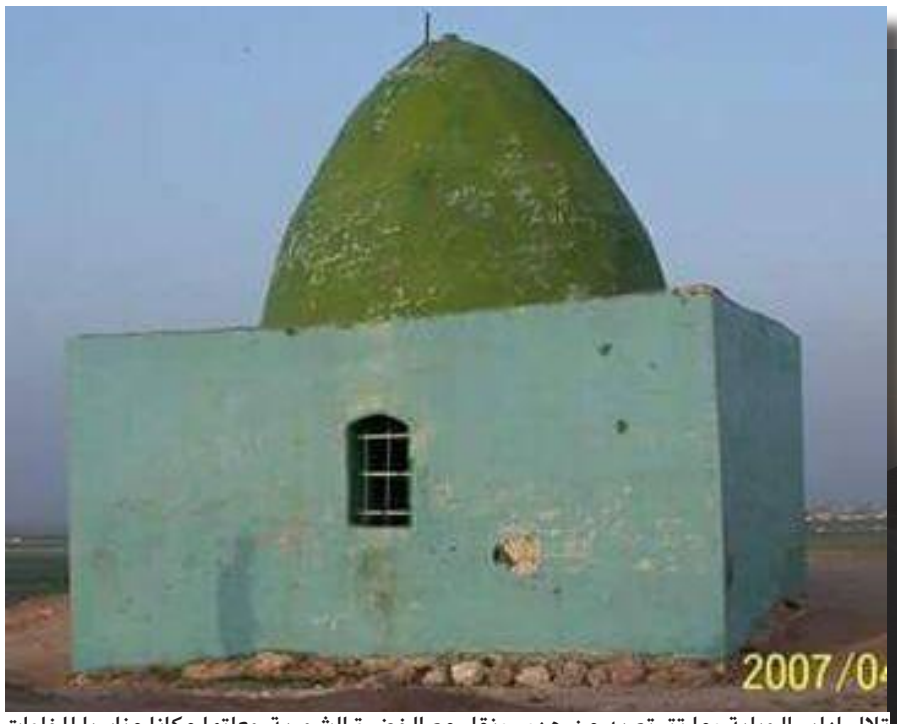

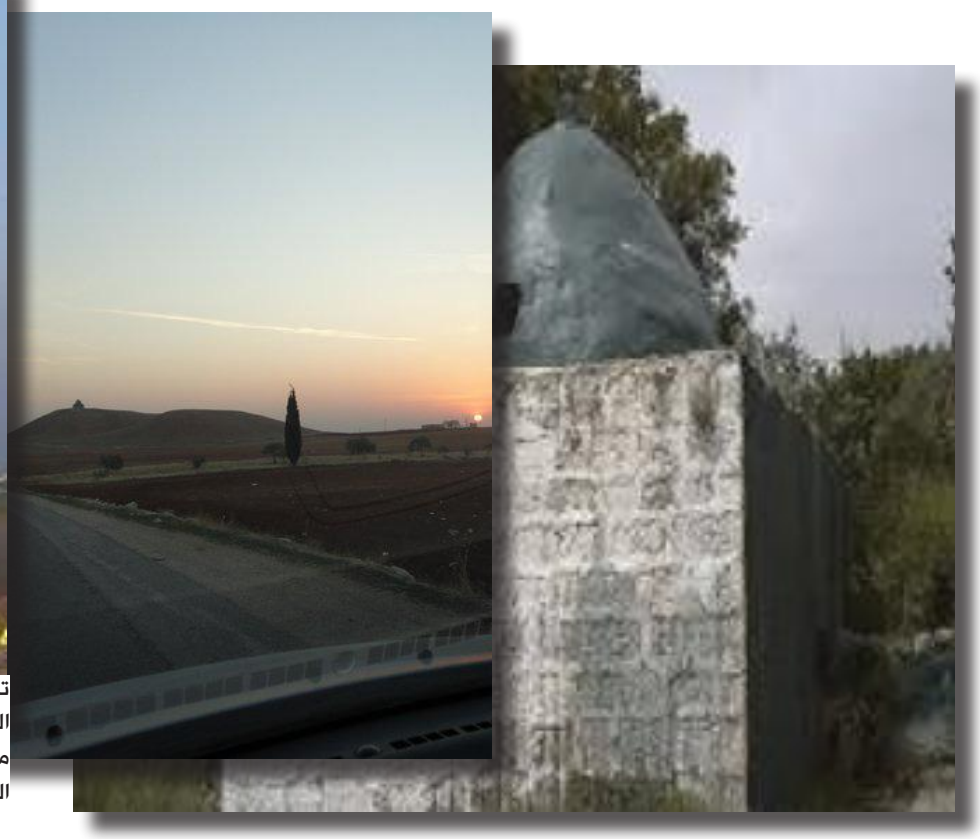

تلال إدلب الجبلية وما تتمتع به من هدوء ونقاء مع الخضرة الشجرية جعلتها مكانا مناسبا للخلوات الدينية، والتعبد الصوفي، ولعل هذه الطبيعة هي التفسير الأوضح لكثرة المزارات فيها، وخصوصا مزارات الأولياء التي يصعب إحصاؤها وعدها، مما جعل هذه المزارات تشكل أحد ملامح التراث الشعبي القديم للمحافظة.

صورة رمزية - انترنت

عمدة النساء المهاجرات.. «يمينة شيلدا» امرأة بألف منظمة

وعد البلخي

في إحدى ضواحي باريس وفي مجتمع غني بالحضور العربي ولا سيما الجالية المغاربية مع وجود خجول للسوريين بدأ في السنوات الأخيرة، تنشط يمينة بين بيتها ومدارس أبنائها ومؤسسات الدولة ولقاءاتها مع صديقاتها في حركة بندولية أبدية يخيل إليك أنها لن تتوقف أبدا، في سعي جدي وحقيقي وخالص لخدمة محيطها ومنحهم مزيدا من السعادة وحمايتهم وتحصينهم من المشاكل بكل أنواعها.

«عمدة المدينة» هو لقبها الذي أطلقته عليها صديقاتها، اللواتي جمعهن حبّها للمساعدة، وإصرارها على مد يد العون للجميع، حتى دون الطلب منها، بالإضافة إلى سماحة قلبها، وبساطتها، وضحكتها التي لا تفارق وجهها، مهما كان الشخص الذي أمامها، فشخصيتها الاجتماعية المتقبلة للجميع، والمحبة لتداول أطراف الحديث مع الجميع، تجعلها الشخصية المحورية في كل اجتماع.

لا تعرف الغضب إلا في حالتين، حين ترى تصرفا مسيئا من عربي أو مسلم يسيء للفئتين أمام الآخرين، أو يتعرض أطفالها للاعتداء، سوى ذلك فإنها لا تضجر من كثرة الطلب، تكاد تظن أن كل من في المدينة يعرفها، ولكنك تجزم عندما تراها بأن الجميع يحبها، عرباً وفرنسيين وغيرهم.

تنتقد ببساطة وعفوية دون شعور منها بانتقاص الأخرين، منطلقة من انتقاد نفسها وعائلتها، ضاحكةً غير مبالية بردود فعل المستمعين.

بقدٍّ ممشوق تسير تلك السيدة الجزائرية الأصل، الفرنسية الجنسية، المولودة في فرنسا عام ١٩٧٦، في شوارع الضاحية الباريسية دون كلل أو ملل، تحفظ كل شارع فيها، وتعطيك لمحة تاريخية عن كل بقالية أو عيادة أو طبيب، وتميّز الزائر الجديد، وتعرف الموظفين وحتى سائقي حافلات النقل العام، فيتبادر إلى ذهنك أنها بالفعل عمدة المدينة، وأنها ليل نهار تعمل في أروقة الدوائر الرسمية.

لا تقتصر معرفتها الشمولية على الأشخاص والأماكن، بل تدرك كل مداخل ومخارج القانون، ومن هنا فإنها تميز كل من يحتاج للمساعدة، وتبادر بالعرض عليه قبل أن يطلبها، منطلقة من مبدأ أنها اليوم تجد من يحتاج إليها ولكنها غداً لن تجد، وربما ستكون هي بحاجة للمساعدة.

كثرة الذين يلجؤون إليها، أو تسرع هي إليهم، يدفعها إلى الحركة الدائمة فهي إما سائرةً على الأقدام، أو أنها تنزل من إحدى السيارات، عائدة من دائرة رسمية أو عيادة طبية أو سوق تجارية، وقلما تكون في منزلها، إلا في فترة الغداء من أجل أولادها، ولكن حتى في هذه الفترة قد تتساهل في بعض الوقت مقابل تبادل الأحاديث، ولا سيما أنها تحضر الطعام قبل خروجها لإيصال أطفالها إلى المدرسة صباحاً.

تتنقل ما بين معلمات المدرسة وأمهات الطلاب، وجاراتها والسيدات العربيات، هذه تريد أن تسألها سؤالاً، وتلك تود أن تشرح لها أمراً، وأخرى تطلب إليها أن تترجم لها أو تنقل رسالة عنها، وغيرها ترغب في أن ترافقها إلى مكان ما، هكذا تقضي الجزائرية «يمينة شيلدا» أيامها وأوقاتها، ولكنها تفرد مساحة صغيرة من الوقت لنفسها، تتردد فيها على نادي الرياضة، ودرس القرآن، ودروس تعليم قيادة السيارات.

وإن حدث وتوقفت معها للحديث وأسهبت يمينة فلن تضجر من مرور الوقت أو ثقل الوقوف، فالخبرة والجو المرح الذين تضفيهما بوجودها يجعلك تنسى الوقت وتنسى معه كل التزاماتك وواجباتك، وتتركها وأنت تود أن يكون هناك متسع من الوقت.

هي المبادرة في الدعوة إلى اللقاءات وهي من تنهيها، بدونها لا يكتمل النصاب، تأخرها عنك يعني أنها في مهمة خدمية لغيرك، توزع اهتمامها دون تكلف، وتقدر خصوصية كل واحدة على حدة وتفكر في ظروفها وأحوالها.

تسارع لتبرير أخطاء الآخرين وإعطائهم الأعذار، أو تهيئ لهم الأجواء للانضمام أو الانسحاب بكل لباقة ودون إحراج، بطيبة بادية على الوجه وفرح غامر بحضورها الطاغي الذي بات يهيمن على اللقاءات اليومية لنساء الحي صباحا وهن يوصلن أطفالهن إلى المدارس.

مبادراتها المستمرة تجاه النساء والمحيط تنبع من شخصية مستقرة وصلبة تتسم بسعة الاطلاع وبذكاء فطري مميز، إضافة إلى شجاعة وجرأة طبيعية تفتقر إليهما الكثير من النساء، ولعل هذه الجرأة هي ما سمحت لها بتشكيل هذا الجو والحضور في وسط فيه كل هذا المزيج من الثقافات، هذه الثقافات التي لا يمكن إلا لشخص ذو شخصية قوية أن يجمعها.

تعرف ظروف واحتياجات كل صديقة من صديقاتها، تسدي النصائح، وتبحث عن احتياجاتهن، وتسارع بالاتصال كلما وجدت شيئا يناسب إحداهن لإبلاغها، فهي دائماً أول من يرى ويجد، لأنها الأكثر نشاطا وحركة.

خبرتها المحدودة بالتكنولوجيا، هو عيبها الوحيد، فبقدر ما تجيد التعامل مع البشر إلا أنها جاهلة بتقنيات الحاسوب وبرامج الجوال وطرق الشراء الإلكتروني، وربما كان مرد ذلك إلى اهتمامها المركز على الإنسان وتوجيه ذكائها نحو البشر دون حرص منها على تعلم أساليب التقنية المعاصرة، باستثناء تلك التي لها علاقة بالتواصل مع الأصدقاء كبرامج الواتس آب والفيس بوك والإيمو وغيرها من برامج الاتصال.

بيضاء السريرة، بريئة الخاطر، سهلة المعشر، تسعى دائما لتسهيل الحياة على من حولها، قدوة النساء في الاطلاع والتعامل، وربما يحسدنها على محوريتها ومحبة الناس واحترامهم، لكن استثنائيتها تكمن في إيمانها من أن خدمة الناس ومحبتهم هي من محبة اللّه لها، ونعمه عليها.

ربما ستقرأ يمينة هذه الكلمات، لكنها بالتأكيد لن تفهم تماماً معناها، فلغتها العربية التي تلقتها في إحدى مساجد باريس ظلت عائقا لفهمها الكثير مما نقوله نحن السوريون لكنها بضحكة واحدة تنسف كل ما يمكن أن يكون حاجزا بينها وبين الأخريات.

معضلة التفاهم باللهجات العربية بين السوريين والجزائريين المتواجدين في فرنسا، والذين يحتلون المركز الأول بين الأجانب في فرنسا، ليست عند يمينة وحدها بل هي إحدى صعوبة فهم السوريين للهجة المغاربية المقدر عددها بأكثر من ٥ مليون جزائري، حوالي نصف مليون منهم يقيمون في العاصمة باريس، بحسب إحصائية المعهد الوطني للإحصائيات والدراسات الاقتصادية "إ. نسي" عام ٢٠١٥.

وتشكل الجالية المغاربية رأس الهرم لدى المهاجرين في فرنسا، إذ تشير الأرقام الصادرة عن السفارة الفرنسية أن السلطات الفرنسية منحت ٤١٠ ألف تأشيرة للجزائريين سنة ٢٠١٦، في حين حصل السوريين على ما لا يزيد عن ٢٥٠٠ طالب لجوء، في وقت أعلن المكتب الفرنسي لحماية اللاجئين والمشردين أن ما يزيد عن ٨٦ ألف لاجئ تقدموا بطلبات لجوء إلى السلطات الفرنسية عام ٢٠١٦، بينهم ما يزيد عن ستة آلاف سوري.

في حين تسجل الجالية السورية في فرنسا تواجدا ضعيفا من قبل عام ٢٠١١، فقد كان معظم أعضائها من الطلاب السابقين الذين قرّروا البقاء بعد انتهاء دراستهم، وهو ما يفسّر العدد القليل للسوريين في فرنسا اليوم.

رغم أنها لم تحصل على شهادة علمية أو تشغل منصبا رسميا أو اجتماعيا، إلا أن «يمينة شيلدا» تمثل بشكل عملي النموذج الإنساني المشرق للمرأة العربية خصوصا والمرأة بشكل عام، بتلك الروح المندفعة والمحبة والفائضة بالخير للجميع.

رواج للفروج التركي في إدلب رغم غياب الرقابة عليه

بسطات بيع الفروج المجمد - ريف إدلب

أسامة الشامي

بات اعتماد أهالي المحافظة على بعض أصناف البضائع التركية أكبر من اعتمادهم على السورية بسبب موقع إدلب المحاذي للشريط الحدودي التركي، ووجود عدة معابر تجارية على هذا الشريط، الذي سمح للبضائع التركية باجتياح مناطق الشمال السوري المحرر، كما ساهم في ذلك تسهيل دخول تلك البضائع ورخص أسعارها مقارنة بالصعوبات التي تواجه دخول البضائع من مناطق النظام وارتفاع أسعار البعض منها.

أسعار البضائع ليست دائماً دليلاً على مدى جودتها أو العكس، وإنما على سهولة وصولها والتكاليف المترتبة على ذلك، وعلى الرغم من ارتفاع أسعار البضائع السورية في أسواق المحافظة، والتي يصل في بعض الأصناف إلى ضعف سعر البضاعة التركية، إلا أن نسبة لا بأس بها من الأهالي ما يزالون يرون أن البضاعة السورية تتمتع بجودة أعلى من التركية.

ومن بين البضائع المستوردة من تركيا إلى أسواق إدلب اللحوم والفروج الحي والمثلّج، والتي يتم استيرادها من قبل تجار مختصين بتجارة اللحوم عبر معابر حدودية بين سوريا وتركيا، أبرزها معبر باب السلامة ومعبر الراعي ومعبر قرقميش، في حين يمنع معبر باب الهوى دخول اللحوم والفروج عبره، ويرجع ذلك للنظام الخاص بكل ولاية تركية، وليس إلى إدارة المعبر على الجانبين السوري والتركي.

السعر والجودة

وعن أسباب التفاوت في السعر والجودة في لحوم الفروج السوري والتركي قال «مصعب عفورة» تاجر متخصص باستيراد الفروج الحي من تركيا إلى سوريا لزيتون: «بالنسبة للفروج الحي لا يوجد فرق من حيث الجودة بين الفروج السوري والفروج التركي الحي، بينما يصل الفارق في السعر إلى نحو ٢٥٠ ليرة سورية في الكيلو الواحد، إذ يبلغ سعر الكيلوغرام الواحد من الفروج التركي الحي ٥٥٠ ليرة سورية، بينما يصل سعره في الفروج السوري إلى ٧٠٠ ليرة سورية».

وأضاف «عفورة»: «ضعف الإمكانيات المادية في المناطق المحررة أثر سلباً على إنشاء المداجن وتربية الدجاج والاهتمام به، وتقديم الخدمات اللازمة لإنتاج فروج يغطي حاجة السوق ويتمتع بجودة عالية، ما شكل عبئاً على المربي السوري بتكاليف النقل والجمارك وغيرها، فجميع المواد التي تلزم لإنشاء مداجن من أعلاف وأدوية يقوم المربي باستيرادها من تركيا، ما جعل سعر الفروج التركي أقل من سعر السوري، ودفع بالتالي الأهالي للإقبال على الفروج التركي، وذلك بسبب ضعف القدرة الشرائية لديهم».

تكلفة استيراد الفروج التركي أقل بكثير من تكلفة الفروج السوري سواء أكان حياً أم مجمّداً، وهو ما يفسر انخفاض سعر الفروج التركي، وبالتالي الإقبال عليه بنسبة تفوق الثلاثة أضعاف من الإقبال على الفروج السوري، ولذلك يتم إدخال الفروج التركي بكميات كبيرة وبشكل يومي إلى الداخل السوري، بعد تعبئتها والكشف عليها من قبل مسؤولي الصحة في تركيا، ليتم إدخالها عبر المعابر.

مساوئ المجمد

أما بالنسبة للفروج المجمّد، فيرى عفورة أن أبرز سلبيات للفروج التركي المجمّد هي فترة التخزين الطويلة للفروج، والتي تصل أحياناً إلى ثلاث سنوات، ما يؤدي إلى فساد الفروج، إضافة إلى سوء تخزينه، إلى جانب أنواع أخرى من الفروج المثلج في الأسواق، كالفروج البرازيلي والأمريكي، ويتم التفريق بينهما وبين التركي من خلال الاسم فقط، مضيفاً:

«معظم أنواع الفروج الأمريكي والبرازيلي غير مذبوحة على الطريقة الإسلامية، كما أنها تكون في الغالب فاسدة ومنتهية الصلاحية، وهو السبب في التفاوت الكبير في السعر بين الفروج المجمد الأمريكي والتركي، حيث يبلغ سعر الطن الواحد من الفروج المجمد الأمريكي ٧٠٠ دولار أمريكي، في حين يبلغ سعر الطن من الفروج التركي ١٧٠٠ دولار أمريكي، أما سعر الفروج الحي التركي فهو أعلى من المجمد».

ويصل إلى مشافي محافظة إدلب بين الحين والآخر حالات تسمم وحمى تيفية، كثيراً ما يرجح الأطباء أنها ناتجة عن تناول فروج فاسد.

الطبيب البيطري «محمد العبد الله» من ريف إدلب تحدث لزيتون عن السلبيات الصحية للفروج التركي المجمد وأسبابها قائلاً: «الأضرار السلبية للفروج التركي المجمد ناتجة عن تغذيته قبل ذبحه، حيث تعتمد التغذية على مواد غير صالحة للأكل، فالخلطة العلفية قد تحتوي على مواد يدخل في تركيبها طحين اللحم وهو عبارة عن بقايا الدجاج النافق أو بقايا الحيوانات بشكل عام، وهو مضر بصحة الإنسان».

وأضاف «العبد الله»: «تقوم تركيا وبعض دول الخليج بإدخال طحين اللحم في الخلطة العلفية كبروتين حيواني، كونه أرخص سعراً من البروتين النباتي، في حين أن المواد الصحية الواجب إدخالها في التغذية هي مكونات نباتية من الذرة والصويا، وهي أفضل جودة ولا تضر بالصحة».

ولطحين اللحم المستخدم في تغذية الفروج التركي المجمد قبل ذبحه، تأثيراً على معدة الإنسان وأمعائه، ويسبب حالات تسمم وإسهالات، ويجب إجراء اختبار سموم عليه عند تصنيعه، وذلك لأن سبب موت الحيوان النافق غير معروف إن كان نتيجةً لمرض فيروسي أو جرثومي أو طفيلي، وجميع هذه الأمراض لها تأثيرات صحية قوية، إذ أن امتصاص البروتين المصنع من خلال الكلى يختلف عن امتصاص البروتين النباتي، وبالتالي له دور في إضعاف وظائف الكلى على المدى الطويل، كما له دور في تغيّر إفرازات الغدد بالجسم، بحسب الطبيب البيطري، مشيراً إلى أن الحل الوحيد هو المراقبة من قبل الجهات المختصة وهو أمر صعب في الوقت الراهن، حيث أن الخلطة تستعمل في الداخل التركي وتبدأ منذ بداية تغذية الفروج.

أما عن طريقة معرفة الفروج الفاسد فيقول «العبد الله» أنها تعتمد بالدرجة الأولى على لون الفروج، فالفروج الصحي يكون ذو لون زهري فاتح، أما اللون الأزرق فهو يدل على قتل الدجاج خنقاً، وأما اللون الأحمر فهو دليل على أن الذبح غير شرعي، بينما يشير اللون الأخضر إلى أن الدجاج ميت منذ فترة ومجهز ومُعاد تجميده مرة أخرى.

كما أن للرائحة دور كبير في معرفة صلاحية الفروج للأكل أو فساده، وهو ما لا يمكن أن يعرف إلا عند الطهي، وكذلك شكل الفروج أثناء الطهي فالفروج الطازج يكون لينا ومتماسكا، أما الفاسد منه فيرتفع اللحم على سطح ماء القدر، ويتفتت بسرعة، إضافة إلى الرائحة الكريهة التي تنتشر عند طهوه.

«مصطفى سقاطي» من أهالي ريف إدلب قال لزيتون: «ينتشر الفروج التركي في الأسواق بشكل كبير، وهناك إقبال ملحوظ على شرائه، لأن سعره مناسب وأقل من سعر الفروج السوري».

أما «محمد عبد الله» من أهالي مدينة جسر الشغور فيرى أن الفروج السوري الحي أفضل وصحي أكثر من التركي، فهو يفضل شراء الفروج الحي وذبحه أمامه ليضمن صلاحيته، بعكس الفروج التركي الذي يباع في الأسواق مغلفاً ومثلجاً ومقطعاً وتاريخ ذبحه غير معروف، ومن الممكن أن يكون فاسداً، ولاسيما في فصل الصيف بسبب ارتفاع حرارة الجو، وعدم وجود برادات دائمة تحافظ على هذه اللحوم من التلف.

ورغم الانفتاح التجاري الكبير بين محافظة إدلب وتركيا، ومرور السلع والبضائع عبر معابر حدودية رسمية خاضعة لرقابة، إلا أن الظرف الراهن لا يسمح بالتأكد وفحص جودة البضائع ومطابقتها للمواصفات القياسية، وذلك بسبب وجود معابر غير نظامية تدخل من خلالها مواد غير مضمونة ما أثر على سمعة البضائع التركية في بعض المناطق السورية وفي النظرة إليها.

المعارض والناشط أحمد دركزنلي:

الحركات السلفية دمرت روح الثورة في الداخل وبشكل خاص في الخارج

إدلب.. المحافظة التي تشهد أخطر مراحل تاريخها بعدما عصفت رياح الثورة بها وبقيت ملاذ ثوار سوريا الأخير، تتوجه لها الأنظار في ما تمر به من اقتتال فصائل المعارضة وحرب اغتيالات وتسويات سياسية أقليمية ودولية، يتراجع العمل المدني فيها وتزوي التجمعات السياسية. عن العمل السياسي ومصاعبه في ظل الحروب، وعن مكامن الضعف وأسبابه، والبحث عن حلول ممكنة التقت زيتون بالمعارض السوري عضو تيار الوحدة الوطنية، وعضو اللقاء السوري المفتوح في باريس «أحمد دركزنلي».

أجرى الحوار: رائد رزوق

- هل ترى أن وجود التجمعات السياسية في المناطق المحررة امرا ضروريا وهاما أم أنها مجرد مرحلة عابرة مرهونة بالتسويات السياسية الدولية؟ والتي يمكن أن تزول في حال اجتاحت قوات النظام محافظة إدلب؟

لا شك أن وجود التجمعات السياسية في المناطق المحررة أمراً ضرورياً ويحتاج له المجتمع السوري، الذي يعاني ويضحي كثيرا من أجل الخروج من أربعة عقود من سطوة عصابة الفساد والاستبداد لعائلة الأسد وشركائها.

هذه الحقبة التي تم فيها مصادرة جميع حقوق السوريين المدنية، وسلِبت إرادتهم، وشوّه تاريخهم، ورهن مستقبلهم.

من هنا تكمن أهمية تجربة الحراك المدني السياسي، في هذه المناطق، وإن بقي هذا الحراك مقيداً الى حد كبير، بسبب هيمنة بعض القوى المعادية لحرية التعبير، والتي كانت تسعى إلى لجمه حيناً، وإلى قمعه في أغلب الأحيان، وذلك لمنعه من أداء دوره في التنوير والتغيير.

- كيف ترى أداء هذه التجمعات ولماذا؟

حسب رأيي، من المبكر الحكم بشكل نهائي على هذه التجربة، كونها حديثة النشأة ولم تأخذ بعد الشكل التنظيمي القوي، ولم تتوفر لها الموارد المادية والبشرية اللازمة والضرورية لمثل هكذا تجمعات، كما لم تتوفر لها الظروف الأمنية الملائمة، من أجل أن تعبّر بشكل حر عن رأيها، وتشرح برامجها وأهدافها، وتنسج علاقاتها الطبيعية مع محيطها، ثم مع المجتمع وتتفاعل بشكل صادق وصحيح مع قضاياه الوطنية ومطالبه العادلة.

- هل يمكن الاستفادة من تجربة العمل السياسي في أحزاب عربية أو دولية واستغلال هذه التجارب في تلافي أخطاء التجمعات السياسية المعارضة؟

بالنسبة للاستفادة من تجارب عربية أو دولية، أعتقد أن لكل تجربة خصوصية معينة، وطبيعة سكانية، وتاريخ، وعادات، وظروف أمنية وما إلى ذلك، وكل هذه العوامل تفضي الى مسارات قد تكون مختلفة بشكلها العام، وإن كان هناك بعض نقاط التشابه أو الالتقاء، ولكن لا يمكننا تطبيقها في الحالة السورية، فعندما خرج السوريون مطالبين بالحرية، لم يكن متوقعا هذا الكم الهائل من الجرائم، وهذه الوحشية المنفلتة من كل الضوابط، كما لم يكن متوقعا تخاذل المجتمع الدولي وكذبه ومراوغته إلى هذا الحد.

حيث تقزّمت كل القيم وكُشفت عورتها، وفقدت كل شعارات التضامن العربي والعالمي معانيها، وأصبحت عاجزة، أو «متعاجزة»، بل عارية تماماً أمام المأساة السورية!، وهذا قد يجد تفسيره بأن هذه القوى ليس لها مصلحة بأن تحقق الثورة السورية أهدافها وبناء دولة المؤسسات، وفصل السلطات، وسيادة القانون والقضاء المستقل، واحترام حقوق الإنسان المدنية.

- ماهي أهم نقاط الضعف في التجمعات السياسية وأسباب ابتعاد الشارع الثوري عنها، سواء الأسباب الداخلية في التجمعات أو الخارجة عن إرادتها

هنا لا بد من العودة قليلا إلى حقبة حكم عائلة الأسد، حيث تم العمل، وبشكل ممنهج، على تشويه الانتماء الوطني، واستبداله بالانتماء إلى الفرد، وتم قتل روح المبادرة، وتأليب السوريين على بعضهم البعض، وتأقلم المجتمع، شيئا فشيئاً مع آفة الفساد، كما تم تعطيل كل مؤسسات الدولة الرئيسية، من قضاء، وإعلام، وسلطات تنفيذية، فأصبح المواطن السوري لا يحتمي بالقانون، وإنما بمدى تقربه من السلطة، وفي النهاية تم ترسيخ حكم الفساد والاستبداد على كامل التراب السوري.

هذه الذهنية ألقت بظلالها وواكبت، للأسف، العديد من التجارب السياسية المعارضة، ولم تتخلص بشكل تام من تبعات الأمراض الآنفة الذكر، حيث عمل النظام على تكريسها طيلة سنوات حكمه، وتأقلمت معها أجيال عديدة من السوريين، كونها كانت هي وسيلتهم الوحيدة من أجل البقاء والاستمرار في العيش، بانتظار ظروف أفضل من أجل التغيير.

من هنا لم تتمكن التجمعات السياسية من الارتقاء إلى مستوى معاناة الشعب السوري وتضحياته العظيمة، وبالتالي عجزت عن تأطير نضاله، مع عدم قدرتها على تقديم رؤية للمستقبل، بعيداً عن روح الحماس والخطابات والشعارات، مما أبعدها بشكل عملي عن إمكانية التأثير بالأحداث، وبقيت أسيرة ردات الفعل، دون إمكانية انتزاع زمام المبادرة، إضافة إلى وقوعها في خلافات جانبية طغت على مجمل حركاتها، مما أدى إلى فقدان البوصلة في كثير من الأحيان، عدم القدرة أو الجرأة الكافية لمواجهة القوى التي تغلغلت في صفوف الثوار، والتي كان دورها الأساس هو تشويه الثورة وحرفها عن مسارها منعها من تحقيق أهدافها، بالإضافة إلى غياب البرامج الواضحة، وعدم المقدرة على ابتكار آليات عمل جماعي تتناسب مع ظروف المرحلة وطبيعة تكوين هذه الأحزاب.

> أخيرا المقاربة التي تم تبنيها في تشكيل أحزاب المعارضة السورية بشكل عام، كانت مقاربة قائمة على مبدأ «المحاصصة» (المناطقية، أو الطائفية، أو العرقية، أو العقائدية.. الخ) مما أبعدها عن أداء دورها الوطني وأصبحت أسيرة هذه التجاذبات التي صنعتها هي بنفسها، وعرضة لاستقطابات قوى إقليمية ودولية.

من هنا أعتقد أن العمل السياسي الحزبي يحتاج الى وقت طويل، من العطاء والتفاني والعمل الدؤوب ومحاربة الأمراض الآنفة الذكر، من أجل أن يستعيد أهميته في ذهن المواطن السوري، ومن أجل أن تعود ثقة السوريين بالعمل الحزبي بشكل عام.

كما أعتقد أن المرحلة الحالية تتطلب عمل جبهوي عريض، وعابر للأحزاب، يجمع ويؤطر الطاقات الفردية للمجتمع، ويضعها ضمن برنامج وطني جامع، ذو أهداف واضحة ومحددة، للتحرر من نير الاستعمار المتعدد الجنسيات، والخلاص من عصابة الفساد والاستبداد.

هذا العمل الجبهوي العريض والمنفتح على القواسم المشتركة للشعب السوري، والبعيد عن الذهنية الحزبية الضيقة، هو الكفيل بإعادة ترتيب الأولويات، وتغيير أدوات وأساليب الصراع.

- ما هو دور السياسيين السوريين والأجسام السياسية في الخارج ومسؤوليتهم اتجاه التجمعات السياسية في الداخل السوري وتطوير عملها، وكيف تنظر الشخصيات السياسية لهذه التجمعات حاليا وعلاقتها معها؟

لا يمكن توصيف السياسيين والأجسام السياسية في الخارج ضمن إطار موحد، والسبب يعود لطبيعة البلد المتواجدين فيه، فلكل بلد صيغ عمل وهوامش مناورة وحرية مختلفة، فمثلا في البلاد العربية وأمام انعدام هوامش حرية التعبير لا يمكن الحديث عن تأثير لعدم توفر هوامش حرية والتعبير، وإن وجدت هذه الهوامش تكون مؤطرة إلى حد كبير بشكل ينسجم مع الموقف الرسمي من نظام الأسد.

أما بالنسبة للدول الغربية وخاصة الأوروبية فهناك هامش حرية أكبر لكن بقي تأثير التجمعات والأحزاب والشخصيات السياسية محدوداً بسبب بعدها عن مراكز صنع القرار، ومن أجل أن يكون لها تأثير، يتطلب ذلك بالإضافة إلى الإمكانات الكبيرة والعمل الدؤوب الجماعي والمنظم والممنهج، الابتعاد أيضاً عن الشخصنة وتوحيد الجهود ضمن عمل مؤسساتي حقيقي لا يسمح للآخر بالتلاعب بالقرار الوطني السوري، وهذا ما سعينا إليه منذ بداية الثورة السورية، وللأسف لم ننجح إلى الآن على الرغم من توفر الكوادر الهامة والعلاقات الجيدة والخبرات التي لا يستهان بها، ويرجع ذلك أولاً إلى عملية الاستقطاب التي حصلت فور تشكيل المجلس الوطني في الخارج وهيئة التنسيق في الداخل، هذه العملية التي حصرت الحراك السياسي وصار كل منهما يسعى إلى تهميش الآخر، وبالتالي كانت المحصلة صفرية.

ثم جاء الائتلاف وكان الإعلان عنه وتشكيله من قبل قوى خارجية وأصبح من الصعب العمل من خارج هذه الأطر التي فرضت فرضاً ولم تكن صالحة لقيادة الثورة والمعارضة.

هذه المؤسسات لم يتم تشكيلها بقصد انتصار الثورة بل كان الهدف منها تأطيرها لإيصالها إلى مكان ما يسهل اختراقها ويسهل التلاعب بها ودفعها في مسارات كانت مرسومة مسبقاً.

فيما يتعلق بمسؤولية السياسيين والمؤسسات السياسية في الخارج تجاه التجمعات السياسية في الداخل السوري فهي لم تكن بالمستوى المطلوب، وذلك يعود إلى أننا حين بدأنا نبحث في أسس وإمكانيات التواصل مع الداخل السوري وتنظيم الصفوف، جاءت مسألة عسكرة الثورة التي غيرت طبيعة المواجهة مع النظام وخلطت الأوراق، وأصبح من الصعب ممارسة العمل السياسي لأنه عندما يبدأ السلاح يغيب الحوار والعمل المدني.

إضافة إلى ظهور الحركات السلفية والتجمعات ذات الصبغة الإسلامية التي كانت مدمرة لروح الثورة في الداخل وبشكل خاص في الخارج، وكان الاستعصاء الحقيقي يكمن في البديل الذي أنتجه التسليح والحركات السلفية، والذي طغى على الحراك السوري بالداخل، وهو ما أثر على أداء العمل السياسي في الخارج لأن أي تغيير في سوريا له صبغة إسلامية معلنة، لا يمكن أن يجد آذاناً صاغية له، إضافة إلى تداخل مسألة الإرهاب واستثماره من قبل أجهزة إقليمية ودولية وخاصة الدول الداعمة للنظام السوري لوضع المجتمع الدولي أمام معادلة إما الدكتاتورية أو الإرهاب.

> وأمام هذه المعادلة التي فرضت على الشعب السوري هذه الثنائية الشيطانية -إما الاستبداد أو الإرهاب- سهلت خيارات المجتمع الدولي في أن يختار الدكتاتورية والتأقلم معها مع استبعاد التأقلم مع الإرهاب، وهنا انقلبت الأجندات وترتيب الأولويات بالنسبة للمجتمع الدولي ولكل الدول الداعمة للثورة السورية، وأصبحت محاربة الإرهاب أولوية فيما غابت المطالب المحقة والمشروعة للشعب السوري، هذه المسالة تم توظيفها بشكل شيطاني لتكون المدخل من أجل الانقضاض على الثورة والعمل على وأدها.

بما يخص التجمعات السياسية في إدلب نحن كأفراد يشرفنا أن نعمل مع توجهات التجمعات السياسية ذات الطابع الديمقراطي والمدني، وأعتقد أن المستقبل سيكون إلى جانبها، ونحاول كأفراد وكمؤسسات ناشطة في مجال العمل المدني أن ننقل رسائل هذه التجمعات لمؤسسات العمل المدني في الدول الغربية لنبرهن أن محافظة إدلب ليست معقلا للسلفية والتطرف بل إن هناك تجمعات سياسية ديمقراطية ومدنية تسعى لتحقيق دولة المواطنة، وتعادي التطرف على الأرض، وتدفع ثمن مواجهتها وصمودها في الداخل السوري.

كلمة أخيرة

ثورتنا قامت ضد عصابات الفساد والاستبداد، ويتوجب على كل سوري ممن يعمل في الشأن العام أن يكون قولاً وممارسةً نقيض الفساد والاستبداد، وعدم التساهل أمام الممارسات الخاطئة، التي ساهمت في تشويه الثورة، وأبعدتها عن أهدافها السامية والنبيلة، من أجل إعادة الأمل إلى الشعب السوري الذي قدم تضحيات قل نظيرها في تاريخ ثورات الشعوب.

الطفل الذي هتف في المظاهرات صار مطلوبا

أحمد فرج

الطفل ذو السبع سنوات والذي اشتهر بهتافه في المظاهرات صار عمره اليوم ١٤ عاما، ولم يتوقع والداه أن الأيام ستطول بذلك النظام إلى الحد الذي سيكبر فيه صغيرهما ليضطر إلى الذهاب لمناطق سيطرة النظام لتقديم امتحان الشهادة الإعدادية في حماه.
رامي الذي سحرته المظاهرات التي انطلقت في عام ٢٠١١، ليقع في غرامها، ويقود هتافاتها في بلدته التي أحبته لمثابرته وذكائه، صار اليوم فتى على أبواب الشباب ويلوح له مستقبل دراسي لافت بما يقدمه من نجاح في مدرسته.

القلق توصيف مثالي لأم رامي، كيف ستضمن أن يعبر طفلها على حواجز النظام وهو الطفل الذي اشتهر بصوته ضده، وكيف لها أن تحرمه من مستقبله وهو يقدم جدارته وامكانياته المقتنعة في استكمال تعليمه، هل ستغفر له طفولته أم سيبقى الوحش وحشا لا يميز بين طفل وبالغ ومسلح ومدني.
شهادات الائتلاف البائسة ليس لها رصيد، مستقبله يكمن في الحصول على شهادة معترف بها دوليا من النظام، للحصول عليها يجب أن يعبر حواجز النظام الخطيرة على بوابات حماه، وهناك ينتزع المطلوبون من حافلات الركاب ليحولوا إلى سجون الموت، هل سينجو الياس من تلك الحواجز.

تحاول أمه منذ عدة أيام التخلص من مقاطع اليوتيوب التي اشتهر بها، ومقالات الصحف والمواقع التي كتبت عنه، لتؤمن أكبر قدر ممكن من السلامة له، تواصلت مع مواقع عالمية طالبتهم برجاء حذف تلك المعلومات والصور والمقاطع المصورة، ورغم عدم الرد عليها إلا أن محاولتها لم تتوقف بل تواصلت مع مقربين لها طالبة مساعدتهم.

ستكون معه في تلك الحافلة، ترعاه بعينيها وتدعو له كي يجعل من بين أيدهم سدا ومن خلفهم سدا ويعميهم فلا يبصرون صغيرها، ليعبر ذلك البرزخ إلى مستقبله المرتجى.
أحب رامي الحرية التي صرخ لها، وأحب ما لاقاه من احترام المحيط له، لم يحب السلاح ولم يمجد المسلحين، كان يرى في المظاهرة طريق الخلاص له ولعائلته ولبلده، ومن هنا كان يتهيأ للمظاهرة على أنها احتفال.
سبع سنوات كبر فيها الأطفال ليصبحوا أسماء مطلوبة للنظام، ورغم أنهم ما يزالون في طور الطفولة إلا أنه سيحاسبهم على براءتهم السابقة والحالية ورامي واحد ممن كبروا تحت كنف الحرية فكيف له أن يقبل صورة جندي قاتل أو شبيح مجرم يحمل على صدره صورة مثله في الإجرام على صدره في أرض العبودية التي ما تعود عليها الصغير؟

ويضطر طلاب المناطق المحررة إلى التوجه إلى مراكز امتحانات مناطق النظام لكي يحصوا على شهادات معترف بها تمكنهم من استكمال دراستهم في الجامعات التي لم يستطع الائتلاف السوري المعارض من انتزاع اعتراف لمدارسه لديها، ما يحمل هؤلاء الأطفال مخاطر كبرى ومضايقات وخوف من قبل ذويهم، فضلاً عن التكاليف الباهظة في السفر والإقامة في فترة إقامتهم بمدن الامتحانات.

ورغم المحاولات الجادة التي بذلها طلاب المناطق المحررة في متابعة دراستهم في مدارس الائتلاف والتربية الحرة، إلا أنهم اصطدموا بعدم وثوقية هذه الشهادات وضعف الاعتراف بها، مع عدم جدية في التعاطي مع مشاكلهم من القائمين على التربية الحرة، الذين انشغلوا بصراعاتهم الفصائلية وانتماءاتهم الضيقة مقدمينها على مستقبل أجيال ضيعت الحرب قسما من مستقبلهم فيما فاتتهم فرص التعليم والشهادات المعترف بها لتقضي على ما تبقى منه.

غياب تام للمدافعين عن حقوق الأطفال السوريين المتروكين لأهواء عناصر الجيش على الحواجز، فلا أطراف دولية ولا منظمات أممية تسعى لتحييد هذه الشريحة عن مآسي الحرب، رغم كل ما نصت عليه شرائع الأمم المتحدة والأعراف الدولية وشرعة حقوق الإنسان.

لو تراجعنا عن المشهد قليلا كم سنرى أمثال رامي المتهمون بعمرهم الذين قضوه في مناطق كره النظام، ليتلقفهم النظام في أول فرصة له ويقدمهم كشهود زور كما حدث بعد مجزرة الكيماوي في دوما، أو ليجبرهم على حمل صور المجرم الذي قتل أهاليهم، مشوها براءتهم مرتين، الأولى حين فرض عليهم حياة ملأى بالخوف والرعب والثانية حين كسر أيمانهم وحلمهم وهم يرون أهاليهم يتذللون لقواته.
أطفال كبروا لم يرو من مدن بلدهم سوى بلداتهم كما لم يرو من سوريا سوى الموت والدمار وانكسار العدالة والحق وانتصار الباطل

عشرين يوما في سجن جورين.. وتفاصيل معتقل

خاص زيتون

ليس من أهل الثورة ولم يتعاطف معها يوماً، لكنه لم يعمل ضدها، تبنى موقفا كموقف الكثيرين في حيادهم المتعب لهم ولطرفي الصراع في سوريا، فلم يسلم على نفسه من تشبيح النظام أو من تهديدات وشكوك الثوار، ولا سيما أنه من أهالي مدينة اشتهرت بأسبقيتها بالخروج عن سيطرة النظام في ريف إدلب، ونالت -وما تزال- حصتها من قصف الطائرات وفوضى الفصائل.

في السابع والعشرين من آذار الماضي كان على «أبو علي» ذو ٦٥ عاما التوجه مرغماً إلى تربية حماة لاستلام عهدة مدرسية بحكم وظيفته كأمين سر لمدرسة إعدادية، ولم تُجدِ مع التربية كل الحجج التي قدمها للتخلص من هذه الرحلة، فهو يعرف مدى الخطر الذي يتهدده في عبوره لحواجز النظام المنتشرة من مدينة قلعة المضيق وحتى حماة، والتي تبلغ أكثر من ١٥ حاجزاً، لم تهدأ فيهم حدة الفوضى والتنمر والمزاجية في التعامل مع العابرين بين المنطقتين رغم السنوات السبع الطويلة.

على الحاجز الثاني عاد السائق مع عنصر من الحاجز لينادي على أبو علي بأن يترجل من السيارة ويرافق العنصر إلى غرفة الحاجز، ثم ليتم إرساله بعد بضعة أسئلة عن اسمه ومكان إقامته إلى مدينة الصقيلية ومن خلال الشرطة العسكرية تم نقله إلى مدينة حماة، ومن ثم إلى سجن بلدة جورين شمال غرب مدينة حماة. وقع ما كان يخشاه وما حاول أن يتجنبه لسنوات طويلة، صار معتقلاً ككل المعتقلين، ودقة المعلومات التي سؤل عنها أثناء التحقيق معه خلال الأيام الستة الأولى من اعتقاله دليل على استهدافه هو ليس كما كان يتوقع أو يخشاه من تشابه الأسماء، وبات مصيره معلقاً أمام احتمالات ربما كان الموت أحدها، وإطلاق السراح آخرها.

أُودع أبو علي فور وصوله للسجن في منفردة برفقة سجين آخر له بذات العمر، قضى فيها نصف مدة اعتقاله، تبادل مع زميله خلالها الأمكنة لتخفيف الضغط على جانبيهما، لينتقل بعد عشرة أيام إلى الزنزانة الجماعية، كما تعرض للتعذيب والضرب، لكنه مقارنة بما كان يراه ويسمعه من تعذيب غيره كان يعتبر أنه من المحظوظين، فلم يتعرض للشبح الذي كان يخشاه كغيره رغم قرارهم بشبحه، لكنه تعرف على بساط الريح والضرب المبرح.

ويروي أبو علي كيف أن القمل كان بحد ذاته عقوبة تتآكل السجناء، فضلاً عن انعدام النظافة وضيق التغذية والتعذيب الوحشي اليومي حتى لمن هم أكبر منه سناً، فلا كرامة للعمر أو للمرض أو لتاريخ السجين.

في الجهة الأخرى من الحياة تلقت أسرة أبو علي نبأ اعتقاله كالصاعقة مع ما يمكن أن يتبع ذلك الاعتقال من احتمالات خطيرة، لتبدأ الاتصالات والتساؤلات، ولتتحول حياتهم إلى مأتم محتمل مستمر، انعدمت فيها كل قابلية للفرح، في حين عادت الأفكار والعتاب على السماح له بالذهاب بين المقربين لهم، فيما وضعت شقيقته القريبة من عمره صورته على برنامج تواصلها الالكتروني، وذلك بعد خضوعها لعملية جراحية للقلب نتيجة تردي وضعها الصحي على خلفية اعتقال شقيقها.

بعد عشرين يوما أطلقت قوات النظام سراح أبو علي بعد أن أجرت تحقيقاتها، ليعود محملا كغيره ممن يفرج عنهم بأمانات المعتقلين وعهدة زيارة ذويهم وطمأنتهم، وما يزال أبو علي حتى اليوم يتنقل ما بين القرى والبلدات في المناطق المحررة ليسأل عن منازل رفاقه الذين تركهم خلفه، وليجيب على فضول أهاليهم المتلهفة لمعرفة أي خبر عنهم، كما يقصده الكثير من الأهالي الذين يبحثون عن أبنائهم المعتقلين، هي سنة المفرج عنهم وتسديد دين من سبقوهم في الخروج، ودورهم في إيصال أخبار من بقي في السجن.

رفيق منفردته من أهالي بلدة «التح» سبقه بإطلاق سراحه، سارع بعد خروجه للاتصال بعائلة أبو علي وطمأنتهم عن وضعه الصحي وإمكانية خروجه خلال أيام، وبدوره قام أبو علي بزيارته بعد خروجه في منزله للاطمئنان عليه وخصوصا أنه تعرض لتعذيب أسفر عن إزرقاق في قدميه لم يشفى منها حتى الآن.

واحدة من قصصه كانت حول معتقل قدم من سجون دمشق إلى جورين كان قد اعتقل على يد القوات الكردية في مناطق سيطرتها، يؤكد أبو علي أن «عرب» وهي كنيته المعتقل، قد سلم من قبل القوات الكردية لقوات النظام قبيل معركة غصن الزيتون التي شنها الجيش التركي بمشاركة الجيش الحر، واصفا تعذيبه بالشديد بعد انتزاع اعترافاته بمشاركة الجيش الحر في عملياته العسكرية ضد النظام.

ويقع معسكر الاعتقال في بلدة جورين شمال البلدة، أنشأ في زمن سرايا الدفاع ليتحول بعدها إلى ثانوية زراعية ثم ليعود ليصبح معسكرا ومعتقلا من قبل النظام في السنة الثانية للثورة.

وتبدأ حواجز قوات النظام على طريق إدلب حماه من طريق "قلعة المضيق" والذي يضم قرابة ٧ حواجز لقوات النظام، إضافة للحواجز الموجودة في كراجات مدينة حماة.

وكانت قوات النظام قد اعتقلت على إحدى حواجزها في ريف حماه ٣ معلمات من محافظة إدلب في ٢٥ نيسان ٢٠١٦ أثناء توجههن لقبض الرواتب من مديرية التربية في حماة، وطلبت من السائق المغادرة بعد إنزال النساء الثلاثة، إحداهن على حاجز المطار واثنتين على حاجز القلعة، تم التأكد من إطلاق سراح إحداهن بعد أكثر من شهر، فيما لم يعرف مصير الأخريتان.

كما تم إطلاق سراح معلم من مدينة سراقب بعد اعتقاله على حواجز النظام أثناء توجهه لاستلام راتبه في شباط الماضي من العام الحالي، وتواترت أخبار عن اعتقالات متكررة من قبل ميليشيا الدفاع المدني في الصقيلية لبعض المعلمين الذين طلبت منهم مديرية التربية مراجعة نقاط أمنية في جورين، بعضهم تعرض لابتزاز بمبالغ مالية كبيرة كفدية بلغت ٣ ملايين ليرة سورية واستلامها من ذويهم.

وتأتي هذه الأحداث بعد أن أوقفت مديرية التربية بإدلب العاملة في حماة رواتب الموظفين منذ بداية ٢٠١٦، لتعود لتسليمها بعد ذلك بشروط جديدة لا تخلو من احتمال الخطر على المعلمين.

هذه سوريا، الإنسان بها متهما حتى تثبت براءته، لدى نظام يدعي الشرعية والنصر على الإرهاب ويحتفل بقتل شعبه.

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

قندريس - غادة باكير - زيتون